

مجلة عربية إسلامية شهرية

تصدر عن الجامعة الإسلامية : دارالعلوم ديوبند ، يوبي ، الهند





أُدْعُ إِلَى سَبِيْلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جَادِلْهُمْ بِالَّتِيْ هِيَ أَحْسَنُ (القرآن الحكيم)

ISSN 2347-8950

العـــدد : ٧ ، السنـــة : ٤٣

رجب ١٤٤٠هـ ، مارس – أبريل ٢٠١٩م

الاشتراكات

- ثمن النسخة : ٣٠ روبية هندية

قيمة الاشتراك السنوي

- في الهند : ٣٠٠ روبية هندية
- وفي خارج الهند للأفراد : ٦٠ دولاراً
- وللمؤسسات الحكومية : ٨٠ دولاراً

عنوان المجلة على الانترنت

Web : http://www.darululoom-deoband.com/arabic/magazine

طالعها الآن

البريد الالكتروني

E-mail : info@darululoom-deoband.com

المراسلات

رئيس تحرير مجلة الداعي

دارالعلوم ، ديوبند ، يوبي (الهند)

الرمز البريدي ٢٤٧٥٥٤

Chief Editor

AL – DAIE

Arabic Islamic Monthly
Darul – Uloom,
Deoband – 247554
(U.P.) INDIA

الهاتف والفاكس

Ph. : (00-91-1336) 222429

Fax : (00-91-1336) 222768

المحتويات

كلمة المحرر

قبل أن يتسع الخرقُ على الراقع

تشهد الهند – التي تمتاز بثقافاتها المتعددة واحتضانها لمختلف الأقليات الدينية والعرقية و اللسانية– في العقود الأخيرة محاولات لخلق جو طائفي عاطفي، بضرب تاريخ البلاد وتناغمها الطائفي و مُثلها السامية عرضَ الحائط، الأمر الذي جعلها– البلاد– تتسارع إلى سياسة الطائفية الدينية. ولاشك أن الطائفية ممقوتة بغيضة يجب على سكان البلاد كلهم الحيلولة دونها وكبح جماحها، أيًّا كان مصدرها، علمًا بأن طائفية الأقلية تتمخض – في معظم الأحوال– عن الشعور بالحرمان واليأس، وكردّ فِعلٍ، وأما طائفية الأكثرية فيدفعها إليها في الغالب– حرصُها على إرضاء النفس وتسليتها بالاستكبار على الأقلية وكَبْسِها وهضم حقوقها الأساسية. فهذه الطائفية التي يدفع إليها العنجهيةُ والصلف من شأنها أن تفكك أوصال الدستور والقانون، وتجرها إلى الفوضى وانعدام التناغم والتناسق. وهنا يصبح الأمر بحاجة إلى وقفة حاسمةٍ شجاعةٍ تتجرد تمامًا عن الخوف والتردد والنكوص.

ولقد أدرك هذه الأوضاع المأساوية وتفطن لعواقبها الوخيمة رئيسُ المحكمة العليا الهندية، وأوصى بضرورة اتخاذ خطوات جادة تجاهها قبل أن يتسع الخرقُ على الراقع، ونَبَّهَ على أن انتهاك دستور البلاد وقانونها، ومحاولة النيل منه، والغض من شأنه وأهميته لايجلب إلا الفوضى والاضطراب في البلاد. إن دستور البلاد يعكس صوتَ الشرائح الاجتماعية المتخلفة و وعيَ الأكثرية، وإنه يشكل عَلَمًا في رأسه نار في الأزمات، ونحن في خير ما دمنا متمسكين بتوصياته عاضِّين عليها بالنواجذ، وإلا فإنه سيؤدي حتمًا إلى حالة من الشقاق البعيد والفوضى العارمة؛ فالحاجة ماسة بشدة إلى اتخاذ الخطوات الجادة التي تعين على الوفاء بالعهود التي قطعها دستور البلاد على نفسه لسكانها.

ولاشك أن تصريح رئيس المحكمة العليا الهندية هذا يشكل بارقةَ أمل في الظلام الحالك كقطع الليل المظلم، ومَطردةَ اليأس والقنوط من القلوب،كما يوحي إلى أنه ينظر بعين من عقاب فيما تشهده البلاد من محاولة التقليل من أهمية الدستور والغَضِّ من شأنه ومكانته، والهجوم الشرس من قِبَلِ العناصر الطائفية الموالية للهندوتفا، على قرار المحكمة العليا الهندية في شهر أكتوبر من العام الماضي حين توصلت – المحكمة العليا– إلى تشكيل لجنة تنظر في قضية المسجد البابري اعتبارًا من شهر يناير/كانون الثاني من عام ٢٠١٩م دون إقامة وزنٍ لمطالبتها باستعجال النظر والبت فيها، الأمر الذي كانت تصر عليه العناصر الطائفية التي قابلت قرارَها هذا بالتعليقات اللاذعة على النظام القضائي ودستور البلاد. وخلقت هذه التعليقات في قلوب شطر كبير من الأكثرية أملاً مفرطًا في التسرع في النظر في البتِّ في القضية، وفي صالحهم مهما كانت الظروف، وأورث اضطرابًا عنيفًا جعلَ المجتمع الهندوسي يظن أن التأجيل في النظر ظلم وحيف عليه، وأن المحكمة لم تُقِمْ لعقيدته وإيمانه وزنًا. [التحرير]

(تحريرًا في الساعة الثانية عشرة ظهرًا من يوم الاثنين: ١٤/جمادى الأولى١٤٤٠هـ =٢١/يناير ٢٠١٩م).

العالم العربي الذي يريده الأعداء أن يكون على هواهم ويريده الأصدقاء أن يكون كما أراده سيدنا ونبينا محمد ﷺ

نظرة المسلم إلى العالم العربي تختلف تمامًا عن نظرة الأجنبي غير المسلم إليه؛ فالمسلمون في مشارق الأرض ومغاربها ولاسيما المسلمون في شبه القارة الهندية، لاينظرون إلى العالم العربيّ ولاسيما دول الخليج وبالأخصّ المملكة العربيّة السعوديّة، النظرةَ التي ينظر بها إليه غيرُ المسلمين من النصارى واليهود والوثنيين أو الملحدين في الغرب أو الشرق أو في أي جزء من العالم البشري.

إنّ المسلمين ينظرون إلى العالم العربي كمهد للإسلام، وكمهبط للوحي الإلهي الأخير، وكمُخْتَبَر للدين، وكموطن أصيل للحضارة الإسلاميّة والثقافة الإسلاميّة، وكَمأْرِزٍ للإيمان ومنبع للحب والحنان، وكمُنْطَلَق للفكر الإسلامي، وكمصدر للطاقات الدينية، وكمَشْحَن للروح والقلب والنفس والوجدان، وكرسولِ خَيْرٍ للبشرية، وقائد للعالم البشريّ، ورائد للعلوم والمعارف والفكر والفن والثقافة والأدب، وكقلب في الجسد البشريّ إذا صَلَحَ صَلَحَ الجسدُ كلُّه وإذا فَسَدَ فَسَدَ الجسدُ كُلُّه، وكـ«وَرَقٍ مِفْتَاحٍ» بين أوراق الدول والأمم إذ أُحْسِنَ اللعبُ به في لباقة مطلوبة، وفي ذكاء منشود، وفي ساعة معهودة، لانتصرتِ الإنسانيةُ، وانهزمت اللاإنسانيّة، وإلا فتأتي النتيجةُ بالعكس، التي لاتعني إلا دَمَارَ الإنسانية، وبَوَارَ العالم، وشقاءَ الأمم، وتَرَاجَعَ حظُّ البلاد والعباد. وبالإيجاز: كطليعةِ جيشٍ للإسلام إذ انتصرتْ انتصرَ الجيشُ كلُّه، وإذا انكسرتْ انكسرَ الجيشُ كلُّه، وكآخر سهمٍ في كِنَانَةِ الدينِ والإيمان، لو طاش لضاع كلُّ الأمل، ولو أصاب لأَخَذَتِ الإنسانيةُ بحَظٍّ وافر من السعادة والفلاح.

أما غيرُ المسلمين فينظرون إليه كمَسْرَحٍ للصراعات، وكمَلْعَب إذا كسبوا فيه المُبَارَاةَ، كسبوها على مستوى العالم، وإذا خَسِرُوها فيه، خَسِرُوها على الصعيد العالمي، وكأحسن مَوْضِعٍ لتنفيذ المؤامرات ضدَّ الإسلام والمسلمين، لو نجحوا في تنفيذها فيه، لكسبوا كلَّ مَصْلَحَة يَتَوَخَّوْنَها، ولنجحوا في توجيه ضربة قويّة للإسلام والمسلمين لاتقوم لها بعدها قائمةٌ كما يَزْعُمُون. وينظرون – غيرُ المسلمين إليه كأكبر مَارِدٍ لو صَحَا من إغفاءته، وانتفض من

رَقْدَته، لما عاد لهم – لغير المسلمين – مَوْطِئُ قدمٍ ومَخْبَؤُ رأسٍ في ساحة الدنيا.. وينظرون إليه كعدو لدود وكخصم عنيد خَرَجَ من قُمْقُمِه بالأمس، ففَتَحَ العالَمَ، وأَخْضَعَ الحضاراتِ، وأَذَابَ الثقافات، وهَزَمَ الأممَ، وداس الدُّوَلَ، ونَسَخَ الدياناتِ، وأباد المِلَلَ والنِّحَلَ، وقاد قافلةَ الإنسانية من شر مستطير إلى خير غَمِير، وأخرج العبادَ من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام؛ فلو عاد يشعر اليوم بدوره، وبدأ يُؤَدِّيه من جديد، وهو به جدير وعليه قدير، إذا صَحَّتْ وِجْهَتُه، وصَدَقَتْ إرادتُه، وانتعشتْ عزيمتُه، لأصْبَحُوا – غيرُ المسلمين – له – للعالم العربي – لقمةً سائغةً، وفريسةً طيِّعةً، ورَمِيَّةً لا ينبو له عنها سهمٌ!!

إن غير المسلمين ينظرون إلى العالم العربيّ كعدوّ رقم واحد لو اتَّحَدَ وتضامن، ورَتَّبَ صفَّه، ونَظَّمَ بيتَه، ورَصَّ بنيانَه، وتَفَرَّغَ لغيره، لَتَحَتَّمَ موتُهم، وتَأَكَّدَ شقاؤُهم؛ فرَأَوْا – غير المسلمين – أنه من الواجب الأوجب عليهم أن يعملوا دائمًا وبشكل ذكيّ وبصورة سافرة وخافية، وبدهاء فيه مكرُ إبليس، وتفكيرُ الشيطان، على تشتيت صفّه – العالم العربي – وتمزيق وحدته، وتفكيك قوّته، وإهدار طاقاته، واستهلاك ثرواته، وامتصاص خيراته، واستلاب أراضيه، والسيطرة على بحاره ومحيطاته، وأرضه وترابه، والتحكم في جوّه، والاستيلاء على منابع ثروته، ومصادر رزقه، وأخيرًا لا آخرًا: على شغله بنفسه بكل فرصة مُتَاحَة، وبكل طريقة مستطاعة، وبكل حيلة قريبة وبعيدة، وكل سبيل مُبَاشِر وغيرِ مُبَاشِر. وبالإيجاز: لابدّ أن يعملوا على تَرْبِيَتِه وتنويمه لأمد طويل بـ«الأغاني الحلوة» و«الألحان المُشَنِّفَة» و«الألعاب المُلْهِيَة».

كما ينظر إليه غيرُ المسلمين اليومَ كناقة رطوبة وبقرة حلوبة، فيعملون على استدرارها بكل «وَقَّافة» – وهي علفٌ يوضع أمامها ويكفي فترةَ الحلب كلها ويلهيها عن حالبها ويتسبّب في إدرارها – تقليديّة ومُسْتَحْدَثَة.

ويستخدمون كلّ وسيلة لامتصاص ثرواته كالإسفنج أولًا، وصرفه عن استخدام سلاح المال والنفظ في المصالح الإسلاميّة ثانيًا، وشغله عن تسييس المال العربي لينصبّ في خدمة القضايا الإسلاميّة ثالثًا.

كما يعملون بشكل دائم على تخدير عقله وجسمه معًا – وقد نجحوا في ذلك لحد خطير – حتى لا يشعر بأي «ألم»لدى قيامهم بإجراء «عملية جِرَاحِيَّة» فيهما – العقل والجسم – أو في أحدهما، حتى تتم عملية «غسيل الدماغ» العربي لحد أن يعود العالمُ العربيُّ عربيًّا بالاسم، ويعود غربيًّا أو شرقيًّا أو عجميًّا – لاقَدَّرَ الله – في شكله وفي فكره وفي طبيعته وفي كرهه لشيء أو حبه إياه.

إنهم يعلمون أنهم لو نجحوا في تسخير العالم

العـربي لنجحـوا في تـسخير العـالم الإسـلامي، ولـو نجحـوا في إخـضاع العـرب لنجحـوا في إخـضاع المسلمين؛ لأنهـم –العرب – مَادَّةُ الإسلام، ولأنهـم رأسُ مال الرسالة الإلهية المحمدية الأخيرة.

* * *

المـسلمون ينظـرون إلى العـالم العـربيّ نظـرةَ الإخلاص، نظرةً فيها الاحترامُ والتقديرُ، والعرفانُ بالجميـل: عرفـانَ التلاميـذ بجميـل الأسـتاذ المـربي الداعيـة، نظرةً مِلْؤُهـا الحـبُّ والعاطفـةُ، نظـرةً فيهـا معاني الإعجاب التي لاتوصف.

المسلمون ينظرون إليه كمَلَاذٍ روحيّ، وكوَكْبٍ معنويّ، وكسفينةٍ إنقاذٍ، وكإسعافٍ نهائي، وكطبيب روحـاني، وكملجإ أخير من كل مصيبة في الـدين أو الـدنيا تـواجههم في الـشرق أو الغـرب، وكمهـوى أفئدة، وكمَحَطِّ قلوب.

المسلمون يتعلّقون بـه تعلّـقَ الجـسم بالقلـب، فيَخْفِقُون بخَفَقَاتِه، ويُحِبُّونه منذ اليوم الأول، منذ أن ظهروا إلى الوجود، وفتحوا أعينَهم على العالم، يحبونه في المنشط والمكره، وفي الآلام والأحلام، ويشاطرونه الأفـراحَ والأحـزانَ، أَحَبُّـوه قبـل التـبرول وخلالـه وسيَظَلُّون يُحِبُّونَه بعد نفـاده، أَحَبُّـوه منـذ أن أَحبُّـوا النبيَّ العـربيَّ محمـد بـنَ عبـد الله القـرشي الهاشـمي المُطَّلِبِي المكي المدني الأمّي –صلى الله عليه وسلم–.

فالمسلمون يحبون العـالم العـربي حُبًّا يَنْبُعُ مـن حـبهم لله ورسـوله، ولكتابـه ولدينـه، وللرجـال السعداء الـذين صَـحِبُوا نبـيهم وتَرَبَّـوْا في حِـضْنِه، وتَلَقَّـوْا منـه دعوتَـه، وتَفَـانَوْا في سـبيل نـشرها، واستماتوا في سبيل ا لدفاع عنها، واستعذبوا الموتَ والعـذابَ في سـبيل إزالـة الجَنَـادلِ والـصُّخُور عـن طريقها؛ فحُبُّهُم له دائمٌ قائمٌ، شاملٌ متكاملٌ، عميقٌ واسـعٌ، متـشابكٌ متزايـدٌ، يـزداد كلـما زادوا حُبًّـا لله ولرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وانطلاقًا من ذلك كله يَوَدُّ المسلمون في العالم أن يبقـى العـالم العـربيّ عـلى سـيرته وصـورته الإسـلاميتين العـربيتين، محتفظًـا بكـل خصائـصه العريقة الأصيلة المُتَوَارَثَة، عاضًّا بالنواجذ على قِيَمِه، ومُثُلِـه وحـضارته، وتراثـه وعاداتـه وتقاليـده، فـلا يَتَغَـرَّب ولا يتـشرّق، و«لا يَتَـأَمْركَ» و لا «يتَـبَرْطَنَ» ولا «يَتَفَـرْنَسَ» ولا «يَتَـأَمْلَنَ» ولا يُـحَاكِيَ تقليـدًا مُسْتَوْرَدًا، ولامُوْضَةً دخيلةً، ولا عادةً مجلوبةً، فضلًا عـن أن يـصطنع الـتفحشَ، والـرقص الفـاحشَ، والأغنية المثيرةَ للغرائز الجنسية، والاختلاط الداعي إلى الاخـتلاء بالفتيـات، المفسد للفتيـان، الـسالب للإيـمان، وإلى الألعـاب المختلطـة التـي يتعـانق فيهـا الجنسان: الذكر والأنثى دونما قيد، والتعليم المختلط الـذي لا يتلقـى فيـه الجنـسان: الـشابّ والـشابّة الدراسـةَ، وإنـما يتـشربان التغـازلَ ومبادلـةَ الغـرام، وممارسةَ الحب الحرام.

يـودّ المـسلمون أن يـزداد العـالم العـربي قـوةً في قوة، واتحادًا في اتحاد، وتضامنًا في تضامن، وأن يعود

كعهده السابق الأزهر الباسم الأغرّ بنيانًا مرصوصًا متراصًّا وجسمًا واحدًا متماسكًا.

يودّ المسلمون أن يعود كعهده السابق ذكيًّا، كيّسًا فطينًا، أريبًا حازمًا، يعرف العدوَّ من الصديق، والصحيحَ من الزائف، والنافعَ من الضارّ، والمنافع من الخسائر.

يودّ المسلمون أن يعود قائمًا على مستواه، أبيًّا شامخًا غيورًا، يعرف دورَه، ويؤدّي وظيفتَه، ويقوم بمسؤوليته.

يودّ المسلمون أن يعود العالم العربي من جديد إلى الإسلام الذي شَرَّفَه، والدين الذي كَرَّمَه، والدعوة التي جعلته شامًّا بين الدول والأمم، والرسالة التي أبرزته للوجود، وأخرجته من الوراء، وانتشلته من القُمْقُم الذي ظَلَّ مستورًا فيه.

إن العالم العربي ليس ملكًا لملك، ولا إرثًا لإمبراطور، ولا سلعة لحاكمٍ لقطرٍ، ولا قائد لإقليم، ولا حاكم لبلد؛ لأن العالم العربي إنما برز للوجود بفضل النبي العربي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وصحابته؛ فهو ملك روحاني إيماني ديني حضاري ثقافي للمؤمنين حقًّا بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًّا، ولا مبرر لقائد لأي جزء منه أن يكون متنكرًا للإسلام: دين محمد ﷺ، ولتعاليمه، فضلًا عن أن يكون متحديًا لها بتصرفاته الخرقاء، وفعلاته الشنعاء، وعمليّاته الفحشاء، التي قد لا يُقْدِم عليها اليهود والنصارى المغضوب عليهم والضالُّون.

* * *

وغيرُ المسلمين ينظرون إليه نظرةً فيها العداءُ والبغضُ، وفيها الاستخفافُ والاحتقارُ، وفيها الحقدُ الأسودُ، وفيها معاني الخبث والشر التي لا توصف.

وينظرون إليه نظرةَ المنتفع المُسْتَغِلّ المُسَاوِم الداهية، الذي يحاول أن يجعل خصمَه مُجَرَّدَ مَطِيَّة لتحقيق مَآرَبه، وأن يجعله يبقى «مُغَفَّلًا» لا يَفْطَنُ لما يُصْنَعْ معه لاستلاب دينه ودنياه، علمًا منهم أن تغفيله هو أَنْجَعُ حيلة لتحقيق نواياهم الشريرة ومطامعهم التوسعيّة.

فهم يودّون أن يزيدوه ضعفًا على ضعف، وتمزقًا على تمزّق، وبعدًا على بعد عن دينه وحضارته، وثقافته وتراثه، وعن كل خصائصه القوميّة والدينية؛ ويودون أن يزيدوه انقسامًا على نفسه، وتصارعًا فيما بينه، وانتحارًا لنفسه، وجهادا في غير عدوه، واستهلاكا لطاقاته، واستنفادًا لخيراته فيما يضره أو فيما لا ينفعه على الأقل، بل وفيما يُخَرِّب بيتَه ويُدَمِّر جسمَه وعقَله، ويُفْسِد عليه دينَه وعقيدتَه، ويُضَيِّع عليه دنياه وآخرته.

إنهم يودّون أن يجعلوه منهارًا مُفَكَّكًا ضائعًا مُتَدَاعِيًا، حتى يُشْبِعُوا منه حقدَهم عليه، بصفته مُمَثِّلًا مُبَاشِرًا، أو مندوبًا أوّلًا عن الإسلام، الذي ارتضاه ربُّ العالمين لعباده.

إنهم يودّون أن لا يخرج هذا الأسدُ من عرينه.

وأن لايخرج هذا الماردُ من «فم الزجاج».

وأن لايَصْحُوَ هذا العِمْلَاقُ من نومته.

وأن لايُمْسِكَ هذا الشجاعُ بسلاحه.

وأن لايَتَقَلَّد هذا الجنديُّ سيفَه ولا يَتَنكَّبَ قوسَه، ولا يَمْتَطِيَ فرسَه.

وأن لايُؤَدِّي هذا المُعَلِّم وظيفتَه.

وهذا القائد مسؤوليَّتَه.

وهذا الرائدُ دورَه.

وأن لايُعَالِج هذا الباري قوسَه.

وأن لايتذكر هذا الفارسُ المِقْدَامُ الهُمَامُ شَوْطَه.

وأن لايعود من جديد هذا الأبيُّ المضروبُ به المثلُ في وفائه و ولائه لدينه، وفيًّا مُوَالِيًا لرسالته الإسلامية، غَيُورًا عليها، مجاهدًا لها، مدافعًا عنها، مستميتًا من أجلها؛ لأن اليوم الذي يتمّ فيه ذلك، سيكون مشؤومًا لهم بكل معاني الكلمة يبكون فيه حظَّهم ويندبون قِسْمَتَهم!!.

* * *

المسلمون يتمنّون أن يعود العالم العربيُّ «معتصمًا» يكسب «معركة عمورية» في كل مكان تصرخ فيه امرأة مسلمة «وا معتصماه». وما أَكْثَرَ الأمكنةَ التي تصرخ فيها نساء مسلمات لا يُحْصَيْنَ مستغيثاتٍ، فلا يوجد «معتصمٌ» ليتسامع بصراخها، فيهبّ لإغاثتها؛ لأن الأعداء نجحوا في سلب العالم العربيّ «معتصميتَه» ولأنه رَضِيَ أن يبقى حريبًا سليبًا فاقدًا لها غيرَ مُحَاوِلٍ لاستعادتها.

وليس المُحْزِن هو إضاعتُه لمعتصميتَه، وإنما المُحْزِن أصلًا أن لايعود لديه الشعورُ بالخسارة، ولايتحرّك للحصول على ما ضاع منه، ولا يَتَأَذَّىٰ بحرمانه من هذه الخصيصة الكبرى وهذه الجوهرة الفرد.

المسلمون يَتَمَنَّوْن أن يعود العالم العربيُّ قوةً مرهوبةً، وعملاقًا مخوفًا، مسموعَ الكلمة، مُنَفَّذَ الإرادة، أو «متحركا بالإرادة» - كما يقول أهل المنطق -.

المسلمون يَتَمَنَّون أن يعود العالم العربيّ من جديد فِرْقَةَ إنقاذٍ أو إسعافٍ أو إغاثةٍ لهؤلاء المسلمين الذين يُطَارَدون ويُشَرَّدُون ويُعَذَّبُون ويُقَتَّلُون ويُنْفَونَ، وتُنْتَهَكُ حرماتُهم، وتُغْتَصَب فتياتُهم، وتُداسَ كرامتُهم، وتُسْلَبُ أراضِيهِم، وتُغْمَط حقوقهُم، وتُصَادَر عقيدتهم، وتُحَارَب شريعتهم، وتُغْزَى ديارهم، ويُغْسَل دماغهم، ويُبَادُ شبابهم وتُسْكَتْ أصواتهم، وتكبت حرِّياتهم، في شتى أرجاء العالم، وداخلَ البلاد الإسلامية كذلك.

المسلمون يتمنّون أن لايكتفي العالم العربي بتصدير البترول، أو بعض القمح، أو بعض الفواكه، أو بعض الأزهار، أو شيء قليل من المصنوعات؛ بل يعود يصدر – كالسابق – إلى العالم الإسلامي القوة والمنعة، والعز والشرف، والشموخ والإباء، وإلى العالم الإنساني الإيمان واليقين، ودواء الروح

والقلــب، وغـــذاء الفكـــر والوجـــدان، ودرس الإنسانية، والأخلاق الإسلامية.

المسلمون يتمنّون أن يعود العالم العربي يُحْسِن استخدامَ لغة القوة والهيمنة والتسامي، بعدما اعتاد اســتخدام لغــة الــضعف والانحـسار والتراجــع والخضوع والاستسلام.

ويتمنون أن يعـود صخرةً صَمَّاءَ: صـخرةً مـن صخور الوادي تتكسر عليها جميعُ أمواج المؤامرات، التي تُحَاك ضده ليل نهار، وتُنَفَّذَ بهدف تطويقه أو تسخيره أو تذليله.

ويَتَمَنَّوْن أن يعود يفهم لغةَ الحب والعاطفة، والإيمان والعقيدة، والأخوة الإسلامية، والآصرة الدينية، بعـدما اعتـاد أن لايفهـم إلا لغـةَ العلاقـات الدبلوماسية الجافة، ولغةَ تدعيم التعاون الثنائي بينه وبين طرف آخر من بلدان الشرق والغرب، في مجالات الاقتصاد والتجارة والأدب والثقافة والفن، ولغــةَ تنويــع التبــادل التجــاري وإبــرام الاتفاقيــة العسكرية والتكنولوجيـة، ولغـةَ تطبيـع العلاقـات وتوقيع اتفاقية السلام مقابلَ الأرض العربية، التي قد يريدها العدو «اتفاقية السلام مقابل العرض العربيّ»!!.

يتمنّون أن يعـود يفهـم لغـةَ الـدين والـشريعة الإسلامية، بعدما تعوّد زمنًا لابأس به أن لايفهـم إلا لغــةَ «العروبــة» و«الثــورة» و«القوميــة العربيــة» و«البعث العربي» و«الإسلام الاشتراكي» و«الإسلام العلماني» والإسلام المُوَافَق عليه مـن قبـل أمريكـا أو الغرب.

ويتمنّون أن يعود يفهم لغةَ الإسلام الشاملة الواسعة، بعدما اعتاد منذ حين من الدهر أن يفهم اللغــة الإقليميــة المحــدودة، واللغــة الخليجيــة أو الأفريقية أو الآسيوية.

ويتمنّون أن يعود أدراجَه إلى عزه التليد وشرفه المجيد، من خلال عودته الصحيحة الصادقة الواعية إلى الإسلام، بعد ما عاش طويلًا يضيع في متاهات الــشيوعية، والاشــتراكية والرأســمالية، والقوميــة والثورية، والعلمانية الغربية، والغزو الفكريّ، المُوَجَّه إليه من اليهودية العالمية، والصليبية الغربيّة الحاقدة، المُمَدَّتين بالوثنية والإلحاد واللادينية.

وبالإيجـاز: يتمنّــون أن يعــود إلى «الأصــولية» و«الرجعيــة» و«التخلــف» بعــدما جَــرَّبَ طــويلًا التقدمية والميوعة والموضات الغربية والتقليعات الحديثة والفنون الجميلة، وآخر ما وصلت إليه تكنولوجيا التجميل والتحديث و ثقافة التأثيث والتيسيس والتغريب والأمركة والتطبيع.

فهل إلى تحقيق هذه الأماني من سبيل؟.. «وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ» (يوسف:٢١).

نـور عالم خليل الأمينـي
nooralamamini@gmail.com

(تحريرًا في الساعة الواحدة من ظهر يوم الاثنين: ٢٣/ربيع الآخر ١٤٤٠هـ الموافق ٣١/ديسمبر ٢٠١٨م).

من ظلال التفسير

بقلم: العلامة الشيخ شبير أحمد العثماني رحمه الله
(١٣٠٥-١٣٦٩هـ/١٨٨٧-١٩٤٩م)
تعريب: أبو عائذ القاسمي المباركفوري

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾

فائدة:

أعقب ذكر القيامة ببيان عاقبة الكفار، بأنهم لايغنيهم شيء في الدنيا ولا في الآخرة من عذاب الله تعالى، وسبق أن قلت: إن المخاطب بهذه الآيات – في الواقع – هو وفد نجران، الذي كان يُعتبر أبرز ناطق بلسان النصارى ودينهم. وحكى الإمام الرازي عن سيرة محمد بن إسحاق، فقال: حين انطلق الوفد من نجران إلى رسول الله –ﷺ– وقد ركب أبو حارثة بغلته، فبينا بغلة أبي حارثة تسير إذ عثرت، فقال كرز أخوه: تعس الأبعد، يريد رسول الله ﷺ – العياذ بالله– فقال أبو حارثة: بل تعست أمك، فقال: ولِمَ يا أخي؟ فقال: إنه –والله– النبي الذي كنا ننتظره، وبشر به كتابنا. فقال له أخوه كرز: فما يمنعك منه وأنت تعلم هذا؟ قال: لأن هؤلاء الملوك أعطونا أموالًا كثيرة وأكرمونا، فلو آمنا بمحمد – ﷺ – لأخذوا منا كل هذه الأشياء، فوقع ذلك في قلب أخيه كرز، وكان يضمره إلى أن أسلم. وأرى أن هذه الآيات نزلت ردًا على ماقاله أبوحارثة ردًا مشفوعًا بالأدلة العقلية والنقلية، على بطلان عقيدتهم الزائغة، وتنبيهٌ لهم على أن مَن أعرض عن الإيمان لأجل متاع الدنيا – من الأموال والأولاد وغيرهما– بعد أن حصحص لهم الحق، لايعزبن عن بالهم أن الأموال والأولاد والجنود لاتغنيهم من عذاب الله تعالى في الدنيا ولا في الآخرة. وأقرب مثال لكم على ذلك يوم بدر؛ حيث شاهدتم التقاء المسلمين والكفار. وليعلموا أن الحياة الدينا متاع، لايدوم طويلًا، والعاقبة في المستقبل لمن خاف الله تعالى واتقاه. و استمر هذا السياق إلى آيات كثيرة لاحقة. وهذا الخطاب شمل – لعمومه – اليهود والمشركين وغيرهم من الكفار وإن كان أصل الخطاب موجهًا إلى النصارى، والله أعلم.

كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿١١﴾

(شَدِيْدُ الْعِقَابِ) أي لايرده أحد، وستؤخذون كما أخذ أولئك.

قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغۡلَبُونَ وَتُحۡشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿١٢﴾

فائدة:

أي لقد آن الأوان لأن تستسلموا أنتم– يهودا أو نصارى أو مشركين– للجيش الإلهي مغلوبين مقهورين. وهذه ذلة وهوان في الدنيا، وأما في الآخرة فلكم نار حامية. روي أن النبي –ﷺ– قال لليهود مرجعه من بدر: أسلموا، وإلا صرتم إلى ما صارت إليه قريش. فقالوا: لا يغرنَّك أن قتلت نفرًا من قريش

أغمارًا لا يعرفون القتال. لو قاتلتمونا لأدركتم، فنحن رجال جربنا الحرب. فنزلت هذه الآية.

وقيل: رأت اليهود ما نال المسلمون من الانتصار في بدر فمالوا إلى الإسلام، ثم قالوا: لاتستعجلوا، لنَنْظُرُ ما سيأتي به الدهر مستقبلًا، ثم مني المسلمون بالهزيمة العارضة في أحد من العام القابل، فقست قلوبهم، وتقاعسوا عن الإسلام، حتى نقضوا العهد وتجهزوا لقتال المسلمين. وانطلق كعب بن الأشرف في ستين راكبًا إلى أهل مكة، ولقي أبا سفيان وغيره من رؤساء قريش فقال لهم: نحن وأنتم واحد، هلا نكون كلمةً واحدةً على المسلمين، فنزلت هذه الآية. والله أعلم.

وعلى كل لم يمض إلا قليل حتى أراهم الله تعالى أنه لم يبق في جزيرة العرب أحدٌ من المشركين، فقُتِلَ يهود بني قريظة الذين نقضوا العهد، وتم جلاء بني النضير، ورضي نصارى نجران بدفع الجزية كل سنة عن يدٍ وهم صاغرون، وظلت الأمم العاتية الكبرى في العالم تعترف بعظمة المسلمين وتفوقهم فلله الحمد.

قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَـٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿١٣﴾

فائدة:

كان عدد الكفار في بدر نحو ألف، معهم سبع مئة إبل، ومئة فارس، في حين لم يتجاوز عدد المسلمين ثلاث مئة إلا قليلًا: معهم سبعون إبلًا، و فرسان، وست دروع، وثمانية سيوف. وكان يرى كل فريق خصمه ضعفين. فكان الكفار يهابون هيبةً حين يتصورون كثرة المسلمين، وكان المسلمون يزدادون توجهًا إلى الله تعالى وهم يرون أعداءهم ضعفين. ويرجون نصر الله تعالى صامدين متوكلين على الله تعالى إيمانًا بوعده في قوله: ﴿فَإِنْ يَّكُنْ مِّنْكُمْ مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَّغْلِبُوْا مِائَتَيْنِ﴾ [الأنفال:٦٦]. فلو تبين للمسلمين كامل عدد الكفار وهم يفوفوقونهم ثلاث مرات لربما أثار ذلك في قلوبهم خوفًا. وترائي الفريقين بعضهم بعضًا ضعفين كان في بعض الأحوال؛ فقد كانوا يرون بعضهم بعضًا قليلًا في بعض المواقف،كما سيأتي في سورة الأنفال. وعلى كل، فنصرة مجموعة قليلة ليس معها عدة الحرب، على جماعة قوية مرهوبة الجانب،- كما بشر به في مكة المكرمة – كانت عبرةً أيةَ عبرةٍ لكل ذي عينين.

زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَـٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾

فائدة:

أي حين ينشغل المرء به ويغفل عن الله تعالى، ولذا ورد في الحديث: «ما تركت بعدي فتنةً أشد على الرجال من النساء»[1]. وأما إذا قصد من المرأة العفاف وكثرة الأولاد، فليست مذمومةً؛ بل مطلوبةً ومندوبةً. فقد قال رسول الله -ﷺ-: «ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيرًا له من زوجة صالحة، إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله»[2].

وقس عليه ما ذكر من متاع الدنيا، يتفاوت حكمه ذمًا ومدحًا بتفاوت النوايا وطرق تناوله. وبما أن الدنيا يكثر فيها من يشتغل بمتاعها ونعمها،

ويغفل عن الله تعالى وعن عاقبته، فجاء قوله ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ﴾ على مستوى عام.

فائدة:

أي الأفراس التي وضعت عليها الأرقام أو العلامات ، أو التي فطرت على العلامات في الأيدي والنواصي، أو التي تركت للرعي في المرعى.

فائدة:

أي لا يحصل الفلاح الأبدي من هذه الأشياء، وإنما يتمتع بها في الدنيا أيامًا معدودةً. وأما المستقبل الناجح والمأوى الحسن فعند الله تعالى. فاهتموا بتحصيل رضاه والحظوة لديه. ثم ذكر في الآية التالية المأوى الحسن ومن يفوز به؟

قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾

فائدة:

أي مطهرة من كافة الأقذار بشتى صورها وألوانها.

فائدة١:

وهل نعمة يفوقها؛ بل الجنة لاتطلب في الحقيقة إلا لأنها محل رضا الله تعالى.

فائدة٢:

أعمال العباد وأحوالهم كلها بين يديه ودون أن تخفى عليه، فيجازي كلًا بعمله ما يستحقه من الجزاء والعقاب، ويصل كل من المتفانين في الدنيا وملذاتها، والذين يجتنبونها إلى مصيرهم. أو المعنى: أن الله تعالى ينظر إلى العباد المتقين نظرةً ملؤها اللطف والكرم، فيكونون بمنجاة من سحر الدنيا وخداعها. قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إذا أحب الله عبدًا حماه الدنيا كما يظل أحدكم يحمي سقيمه الماء»(٣).

الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾

فائدة٣:

فعلم أن مغفرة الذنوب تتطلب الإيمان كشرط أساسي.

الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾

فائد٤٩:

أي يتحملون مشقات شديدة في سبيل الله تعالى ثم يصبرون على طاعته، ويتجنبون المعاصي، وهم صادقون قلبًا ونيةً ومعاملةً. وينفقون ما آتاهم الله تعالى من المال فيما أمربإنفاقه فيه، ويستيقظون في الهزيع الأخير من الليل- وهو وقت الطمانينة والإجابة، ولكن يصعب الاستيقاظ فيه- ويستغفرون من ذنوبهم وتقصيراتهم. (كَانُوْا قَلِيْلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُوْنَ. وَبِالْاَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُوْنَ) [الذاريات:١٧-١٨]. أي يقضون معظم الليل في عبادة الله تعالى، ويستغفرون في الأسحار ويقولون: اللّٰهم اغفر لنا ما صدر من التقصير في العبادة.

* * *

الهوامش:

(١) الحديث رواه البخاري في صحيحه برقم [٥٠٩٦]عن أسامة بن زيد.

(٢) الحديث رواه ابن ماجه في سننه برقم١٨٥٧،عن أبي أمامة.

(٣) رواه الترمذي في سننه [٢٠٣٦]،عن قتادة بن النعمان.

* * *

من صور سوء الخلق

بقلم: **الأستاذ/ محمد بن إبراهيم بن أحمد الحمد**

١ – كثرة المزاح والإسفاف فيه:

فالمزاح يسقط الهيبة، ويخل بالمروءة، ويجرئ السفهاء والأنذال. قيل في بعض منثور الحكم: «المزاح يأكل الهيبة كما تأكل النار الحطب»[١]. وقال بعض الحكماء: «من كثر مزاحه زالت هيبته»[٢]. وقال ابن عبد البر – رحمه الله –: «وقد كره جماعة من العلماء الخوض في المزاح؛ لما فيه من ذميم العاقبة، ومن التوصل إلى الأعراض، واستجلاب الضغائن، وإفساد الإخاء»[٣]. وكان يقال: «لكل شيء بدء، وبدء العداوة المزاح». وكان يقال: «لو كان المزاح فحلًا ما ألقح إلا الشر»[٤]. وقال سعيد بن العاص: «لا تمازح الشريف فيحقد، ولا الدنيء فيجترئ عليك»[٥]. وقال ميمون بن مهران: «إذا كان المزاح أمام الكلام فآخره الشتم واللطام»[٦].

وقال أبو هفان:

مازح صديقك ما أحب مزاحًا
وتوق منه في المزاح جماحًا
فلربما مزح الصديق بمزحة
كانت لباب عداوة مفتاحًا

وقال الآخر:

لا تمزحن وإذا مزحت فلا يكن
مزحًا تضاف به إلى سوء الأدب
واحذر ممازحةً تعود عداوةً
إن المزاح على مقدمة الغضب[٧]

وقال آخر:

فإياك إياك المزاح؛ فإنــــه
يجرئ عليك الطفل والدنس النذلا
ويذهب ماء الوجه بعد بهائه
ويورثه من بعد عزته ذلًّا[٨].

والمقصود أن المزاح لا ينبغي الإكثار منه، ولا الإسفاف فيه. أما ما عدا ذلك فيحسن؛ لما فيه من إيناس الجليس وإزالة الوحشة، ونفي الملل والسآمة. وإنما المزاح في الكلام كالملح في الطعام، إن عدم أو زاد على الحد فهو مذموم[٩].

أفد طبعك المكدود بالجد راحةً
يجم وعلله بشيء من المــــزح
ولكن إذا أعطيته المزح فليكن
بمقدار ما تعطي الطعام من الملح[١٠]

٢ – الفخر بالنسب:

فالفخر بالنسب خلق جاهلي، ذمه الإسلام، ومقت أهله، وحذر من صنيعهم. والفخر بالنسب عنوان سفه العقل، وآية دنو الهمة فهل للإنسان الخِيَرة في اختيار نسبه؟ وهل النسب مما يرفع عند الله؟ إنما الفخر كل الفخر بتقوى الله – عز وجل – وبالترقي في مراتب الكمال، ومدارج الفضيلة.

لقد رفع الإسلام سلمان فارس
كما وضع الكفر الشريف أبا لهب
فكم من الناس – مع بالغ الأسف – من يفاخر

بنسبه، ويترفع على من سواه، ويعقد الولاء والبراء للنسب، مع أن الله - عز وجل - يقول في محكم التنزيل: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ﴾ ثم بين الحكمة من ذلك قال: ﴿لِتَعَارَفُوا﴾ لا لتفاخروا، ثم بين معيار التفاضل بين الناس فقال: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَكُمْ﴾ [الحجرات:١٣]. فليس التفاضل بالجنس، أو اللون، أو العرق، وإنما هو بالتقوى. قال ابن حزم - رحمه الله - بعد أن تحدث عن العجب وذكر شيئًا من ضروبه: «وإن أعجبت بنسبك فهذه أسوأ من كل ما ذكرنا؛ لأن هذا الذي أعجبت به لا فائدة له أصلًا في دنيا ولا آخرة، وانظر هل يدفع عنك جوعةً؟ أو يستر لك عورةً؟ أو ينفعك في آخرتك؟.

ثم انظر إلى من يساهمك في نسبك، وربما فيما هو أعلى منك ممن نالته ولادة الأنبياء - عليهم السلام - ثم ولادة الخلفاء، ثم ولادة الفضلاء من الصحابة والعلماء، ثم ولادة ملوك العجم من الأكاسرة والقياصرة، ثم ولادة التبابعة، وسائر ملوك الإسلام، فتأمل غبراتهم و بقاياهم، ومن يدلي بمثل ما تدلي به من ذلك، تجد أكثرهم أمثال الكلاب خساسةً، وتُلْفِهم في غاية السقوط، والرذالة، والتبذل، و التحلي بالصفات المذمومة، فلا تغتبط بمنزلةٍ هم فيها نظراؤك أو فوقك»(١١).

ثم قال - رحمه الله-: «ثم لعل الآباء الذين تفخر بهم كانوا فساقًا، وشربة خمور، ولاطة، ومتعبثين، ونوكى، أطلقت الأيام أيديهم بالظلم والجور، فأنتجوا ظلمًا وآثارًا قبيحةً تبقي عارهم بذلك الأيام، ويعظم إثمهم والندم عليها يوم الحساب. فإن كان كذلك فاعلم أن الذي أعجبت به من ذلك داخل في العيب، والخزي، والعار، والشنار، لا في الإعجاب. وإن أعجبت بولادة الفضلاء إياك فما أخل يدك من فضلهم إن لم تكن أنت فاضلًا، وما أقل غناهم عنك في الدنيا والآخرة إن لم تكن محسنًا. والناس كلهم أولاد آدم الذي خلقه الله بيده، وأسكنه جنته، وأسجد له ملائكته ولكن ما أقل نفعه لهم»(١٢).

ثم قال: «وإذا فكر العاقل في أن فضل آبائه لا يقربه من ربه - تعالى - ولا يكسبه وجاهةً لم يحزها هو بسعده أو بفضله في نفسه، ولا مالًا - فأي معنى للإعجاب بما لا منفعة فيه؟!

وهل المعجب بذلك إلا كالمعجب بمال جاره؟ وبجاه غيره؟ وبفرس لغيره سبق كان على رأسه لجامه؟ وكما تقول العامة في أمثالها: كالغبي يزهى بذكاء أبيه»(١٣). وقال: «وقد كان ابن نوح، وأبو إبراهيم، وأبو لهب عم النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أقرب الناس من أفضل خلق الله - تعالى - وممن الشرف كله في اتباعهم، فما انتفعوا بذلك»(١٤). وقال ابن حبان -رحمه الله-: «ما رأيت أحدًا أخسر صفقةً ولا أظهر حسرةً، ولا أخيب قصدًا، ولا أقل رشدًا، ولا أحمق شعارًا، ولا أدنس دثارًا من المفتخر بالآباء الكرام، وأخلاقهم الجسام، مع تعريه عن سلوك أمثالهم، وقصد أشباههم، متوهمًا أنهم ارتفعوا بمن قبلهم، وسادوا بمن تقدمهم. هيهات أنى يسود المرء على الحقيقة إلا بنفسه، وأنى ينبل في الدارين إلا بكده»(١٥).

قال أحد الشعراء:

أيها الطالب فخرًا بالنسب ... إنما الناس لأم ولأب

هل تراهم خلقوا من فضة؟
أو حديد أو نحاس أو ذهب
أو ترى فضلهم في خلقهم
هل سوى لحم وعظم وعصب
إنما الفضل بحلم أرجح
وبأخلاق كرام وأدب
ذاك من فاخر في الناس به
فاق من فاخر منهم وغلب(١٦)

وقال الآخر:
إن لم تكن بفعال نفسك ساميًا
لم يغن عنك سمو من تسمو به
ليس القديم على الجديد براجع
إن لم تجده آخذًا بنصيبه(١٧)

وقال الآخر:
ليس الكريم بمن يدنس عرضه
ويرى مروءته تكون بمن مضى
حتى يشيد بناءه ببنائه
ويزين صالح ما أتوه بما أتى(١٨).

٣ – قلة المراعاة لأدب المحادثة:

فللمحادثة آداب يحسن مراعاتها والتحلي بها، ويقبح التفريط فيها، والإخلال في شأنها. والتقصير في هذا الجانب يعدّ ضربًا من ضروب سوء الخلق. ومن المظاهر لقلة المراعاة لأدب المحادثة مقاطعة المتحدث، والاستخفاف بحديثه، وترك الإصغاء إليه، والمبادرة إلى تخطئته أو تكذيبه، ورفع اليدين في وجهه، والقيام عنه قبل أن يكمل حديثه. ومنها الثرثرة، وحب الاستئثار بالحديث، وكثرة امتداح النفس. و منها قلة المراعاة لمشاعر الآخرين، ومواجهتهم بما يكرهون، والحديث بما لا يناسب المقام والحال. ومنها بذاءة اللسان، والتفحش بالقول، واستعمال العبارات المستكرهة صراحةً دون تكنية. ومنها رفع الصوت بلا داع، والغلظة في الخطاب، والشدة في العتاب.

ومنها التقعير في الكلام، والخوض فيما لا طائل تحته، والكلف في المعارضة والخلاف. ومنها الجدال والمراء، والخصومة، واللداد(١٩).

٤ – قلة المراعاة لأدب المجالس:

ومن مظاهر ذلك دخول المجلس والخروج منه دون إذن، وترك السلام حال الدخول وحال الخروج. ومنها التصدر للمجالس لمن ليس أهلًا لذلك. ومنها قلة التفسح في المجالس، والتفريق بين اثنين متجالسين دون إذنهما، والجلوس في مجلس الرجل إذا قام منه وهو يريد الرجوع إليه. ومنها الجلوس في الطرقات دون أداء حقها، والجلوس على هيئة تشعر بقلة الأدب كالاضطجاع، ورفع الرجل في وجه المتكلم ونحو ذلك. ومنها القيام بما ينافي الذوق في المجالس كالتجشؤ، والتمخط، والتثاؤب، والقهقهة، ونحو ذلك. ومنها تناجي الجماعة دون الواحد، ومنها التقصير في السنن الواردة في المجلس كتشميت العاطس، والاستغفار في آخره. ومنها مزاولة المنكرات في المجالس كالغيبة والنميمة والتدخين ونحو ذلك، ومنها مداهنة أهل المجلس وترك الإنكار عليهم(٢٠).

٥ – سوء التعامل مع الوالدين(٢١):

وهذا الأمر يأخذ صورًا كثيرةً، فمن ذلك نهرهما، وزجرهما، ورفع الصوت عليهما، والتأفف والتضجر من أوامرهما. ومن ذلك العبوس وتقطيب الجبين أمامهما. ومن ذلك احتقارهما،

وتـسفيه أحلامهـما، ووصـفهما بالجهـل، والحمـق، والغباء. ومن ذلك الأمر عليهما، وترك مساعدتهما. ومن ذلك ذمهما، وعيبهما أمام الناس، فمن الناس من إذا أخفق في دراسته أو نحو ذلك ألقى باللائمة والتبعة على والديه، وزعم أنهما سبب إخفاقه؛ لأنهما لم يحسنا تربيته. ومن ذلك سبهما، وشتمهما إما مباشرةً وإما بالتسبب. ومن ذلك البراءة منهما، والاستحياء من الانتساب إليهما، وطردهما من المنزل، أو الذهاب بهما إلى دور العجزة. وأقبح ما في ذلك قتلهما، والتخلص منهما؛ رغبةً في الميراث أو نحو ذلك عياذًا بالله.

٦ – سوء العشرة مع الزوجة:

فهناك من يتعامل مع سائر الناس بأدب، ورقة، وأريحية. فتراه في المجالس بشوشًا، حسن الخلق، ينتقي من الكلام أطايبه، ومن الحديث أعذبه. فإذا ما دخل المنزل تبدلت حاله، وذهبت وداعته، وتولت سماحته، وحلت غلظته، وبذاءته، وفظاظته، فانقلب أسدًا هصورًا على زوجته الضعيفة المسكينة. فتراه يسيء الأدب مع زوجته، ويحملها مسؤولية كل شيء، ويغلظ في عتابها عند أدنى خطأ، ويهددها بالطلاق عند كل صغيرة وكبيرة، وربما قصر عليها في النفقة الواجبة. ولا ريب أن هذا الصنيع دليل على ضعة النفس، وحقارة الشأن، وضعف الإيمان. وإلا فإن الحازم العاقل ذا الدين والمروءة يتودد لأهله، ويتعطف عليهم، ويحسن معاشرتهم. قال – عليه الصلاة والسلام–: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم أخلاقًا، وخياركم خياركم لنسائهم»[٢٢].

٧ – سوء الخلق من بعض الزوجات:

ففي مقابل ما مضى نجد أن بعض الزوجات لا تحسن التبعل لزوجها، ولا تقوم بحقوقه كما أراد الله منها؛ بل تراها تسيء الأدب معه، وترفع صوتها عليه، وتثقل كاهله بكثرة الطلبات، وتستنزف ماله بكثرة الإغراق بالكماليات؛ بل ربما عوقته وخذلته عن بره بوالديه، وأعانته على القطيعة والعقوق.

٨ – سوء معاملة الخدم والعمال:

فما أكثر من يسيء الأدب مع الخدم والعمال، فتراه يحتقرهم، وينتقصهم، ولا يراهم إلا هملًا مضاعًا، أو لقى مزدرى، فلا يسلم عليهم إذا مر بهم، ولا يرد عليهم السلام إذا سلموا؛ بل ربما مد أحد العمال يده؛ ليسلم عليه، فيشيح بوجهه عنه، ويتركه مادًا يده بلا رد.

فكم في هذا العمل من كسر لنفس هذا المسكين. ومن الناس من يحملهم ما لا يطيقون، ويؤخر رواتبهم لمدة طويلة، ويحسم من رواتبهم عند أدنى هفوة أو زلة. وهذا الأمر لا يصدر من ذي خلق ودين ومروءة. قال ابن حزم – رحمه الله–: «واعلم أن التعسف، وسوء الملكة لمن خولك الله – تعالى – أمره من رقيق أو رعية يدلان على خساسة النفس، ودناءة الهمة، وضعف العقل؛ لأن العاقل الرفيع النفس، العالي الهمة إنما يغلب أكفاءه في القوة، ونظراءه في المنعة. وأما الاستطالة على من لا يمكنه المعارضة فسقوط في الطبع، ورذالة في النفس والخلق، وعجز ومهانة. ومن فعل ذلك فهو بمنزلة من يتبجح بقتل جرذ، أو بقتل برغوث، أو بفرك قملة، وحسبك بهذا ضعة وخساسة»[٢٣].

٩ – سوء الأدب من بعض الخدم والعمال:

فكما أن هناك تقصيرًا في حق الخدم والعمال – كما مر ذكره – فكذلك هناك تقصير من بعض الخدم

والعمال. فمنهم من إذا أكرمه رئيسه أو كفيله، فرقَّ لحاله، وأحسن إليه، وسهل مهمته، ولم يكلفه ما لا يطيق - قابل الإحسان بالإساءة، والمعروف بالجحود والنكران. فتجده يتمرد على رئيسه أو كفيله، فيخل بالأمانة، ويقصر في العمل. ولو أن كلا الطرفين راقب الله - جل وعلا - وحرص على أداء ما له وما عليه- لاستراحا جميعًا، ولقلت المشكلات بينهما، ولنزلت الخيرات والبركات في ساحتهما.

١٠ - التقصير في حقوق الإخوان:

فالإخوان لهم حقوق كثيرة، يحسن بالمرء مراعاتها والقيام بها، ويقبح به التفريط فيها والتهاون في أدائها. ومع ذلك فكثير من الناس لا يبالي بتلك الحقوق، ولا يبالي في التقصير فيها. ومن مظاهر التقصير في هذا الشأن ما يلي:

أ- قلة تعاهد الإخوان:

فمن الناس من لا يتعاهد إخوانه، ولا يسأل عن أحوالهم، ولا يحرص على زيارتهم وصلتهم، ولا يسعى في تجديد المودة وتقوية العلاقة معهم. وهذا لا يليق بالعاقل. قال ابن حبان - رحمه الله -: «الواجب على العاقل إذا رزقه الله ود امرئ مسلم صحيح الوداد محافظ عليه - أن يتمسك به، ثم يوطن نفسه على صلته به إن صرمه، وعلى الإقبال عليه إن صد عنه، وعلى البذل له إن حرمه، وعلى الدنو منه إن باعده»[٢٤].

ب - التنكر وقلة الوفاء:

فمن الناس من لا يعرف إخوانه إلا في الرخاء، وفي حال اليسار. فإذا وقع أحد إخوانه في شدة أو ضائقة، واحتاج لمعروفه ومساعدته - تنكر له، وخذله، ونسي ما كان بينهما من مودة. ويصدق على هؤلاء قول القائل:

وإن من الإخوان إخوان كشرة
وإخوان حياك الإله ومرحبًا
وإخوان كيف الحال والأهل كله
وذلك لا يسوي نقيرًا مترّبا
جواد إذا استغنيت عنه بماله
يقول: إلى القرض والقرض فاطلبا
وإن أنت حاولت الذي خلف ظهره
وجدت الثريا منه في البعد أقربا[٢٥]

ومن التنكر وقلة الوفاء ما تجده عند بعض الناس، فما أن ينال عرضًا من أعراض الدنيا - كمال، أو جاه، أو منصب - إلا ويتنكر لأصحابه القدامى، وينساهم، أو يتناساهم. وما هذا من أخلاق الكرام.

إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا
من كان يألفهم في المنزل الخشن

ج - إيذاؤهم في السفر:

فكثير من الناس لا تظهر خلائقه، ولا تتميز طرائقه إلا في السفر؛ فالسفر يسفر عن أخلاق الرجال. فإذا سافر مع أصحابه آذاهم، و أكثر الخلاف معهم، وسعى فيما يكدر عليهم، ويعكر صفوهم. ومن الناس من لا يتكلم ولا يقترح، وربما إذا استشير لم يشر؛ بل يترك الأمر لصحبه، فإذا أصابوا سكت، وإذا اجتهدوا في أمر ما فأخطأوا - كأن يضلوا الطريق أو نحو ذلك - أمطر عليهم وابلًا من اللوم و التقريع، وأصبح يكرر من أمثاله قوله: لو فعلتم كذا وكذا لكان أنفع وأجدى، ولو أنكم سلكتم الطريق الفلاني لما حصل ما حصل، وهكذا.

١١ - سوء الأدب مع الجيران:

فالجار له حق عظيم، ومكانة عالية، وقد بين

الله في محكم تنزيله عظم حق الجار، وكذلك النبي - ﷺ-. قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ [النسا:٣٦] . وقال عليه الصلاة والسلام: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»(٢٦).

ومع عظم تلك المكانة للجار في الإسلام - إلا أن هناك تفريطًا كبيرًا يقع في هذا الجانب؛ وذلك أن كثيرًا من الناس لا يرعى حق الجار، ولا يقدره قدره؛ بل يسيء إليه، ويؤذيه بأنواع من الأذى. فمن الناس من لا يعرف جاره الملاصق لبابه، وربما دامت الجيرة سنوات عديدة وهم لم يتعارفوا، ومن الناس من يضايق جيرانه بإلقاء الزبل أمام أبوابهم، أو بإيقاف سيارته بمحاذاة باب الجيران مما يشق معه دخولهم إلى المنزل وخروجهم منه. ومن الناس من يريق الماء الكثير أمام بيت الجيران. ومنهم من يؤذيهم بالروائح الكريهة، ورفع الأصوات، وإزعاجهم وقت راحتهم. ومنهم من يقوم أبناؤه بإثارة المشكلات مع أبناء الجيران. ومع ذلك لا يكف أذاهم عن الجيران، بل ربما دافع عنهم. وأقبح ما في ذلك تتبع عورات الجار والنظر إلى محارمه عبر سطح المنزل، أو عبر النوافذ المطلة عليه. فذلك العمل يعدّ من أقبح الخصال وأسوئها، والعرب كانت تأنف هذه الخصلة، وتفاخر بمحاماتها عن الجار ورعايتها لحقه. قال مسكين الدارمي:

ناري ونار الجار واحدة
وإليه قبلي تنزل القدر
ما ضر جار لي أجاوره
ألا يكون لبيته ستر(٢٧).

بل إن أهل الجاهلية يترفعون عن النظر إلى محارم الجيران، ويرون ذلك الترفع من المحامد التي يفاخرون بها.

قال عنترة:

وأغض طرفي ما بدت لي جارتي
حتى يواري جارتي مأواها(٢٨).

هذا ما تيسر تقييده من مظاهر سوء الخلق.

* * *

الهوامش:

(١) أدب الدنيا والدين، ص٣١٠.
(٢) أدب الدنيا والدين، ص ٣١٠.
(٣) بهجة المجالس لابن عبد البر ٥٦٩/٢.
(٤) المرجع السابق. (٥) المرجع السابق
(٦) المرجع السابق٥٧٠/٢، وانظر: الآداب الشرعية٢٣٢/٢.
(٧) المرجعين السابقين. (٨) المرجعين السابقين.
(٩) انظر: بهجة قلوب الأبرار لابن سعدي ص ٧٠.
(١٠) أدب الدنيا والدين، ص ٣١١.
(١١) الأخلاق والسير في مداواة النفوس، لابن حزم، ص ٧٠-٧١
(١٢) الأخلاق والسير، ص ٧١-٧٢.
(١٣) الأخلاق والسير، ص ٧١-٧٢.
(١٤) الأخلاق والسير، ص ٧١-٧٢.
(١٥) روضة العقلاء، ص٢٣٠.
(١٦) روضة العقلاء، ص ٢٢٠-٢٢١، وتنسب هذه الأبيات لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - انظر: ديوان علي جمع نعيم زرزور ص ٢٦.
(١٧) روضة العقلاء، ص٢٣٠. (١٨) روضة العقلاء، ص٢٣٠.
(١٩) انظر: تفصيل ذلك في: أخطاء أدب المحادثة والمجالسة للكاتب.
(٢٠) انظر: المرجع السابق.
(٢١) انظر: عقوق الوالدين للكاتب
(٢٢) أخرجه أحمد٢٥٠/٢-٤٧٢، والترمذي ١١٦٢ وابن حبان ٤٨٣/٩ رقم ٤١٧٦ والبغوي في شرح السنة١٨٠/٩ رقم ٢٣٤١ كلهم عن أبي هريرة وقال الترمذي: حسن صحيح، وصححه أحمد شاكر في شرحه للمسند ١٢٨/١٩ رقم ١٠١١٠، وصححه الألباني في الصحيحة ٢٨٤.
(٢٣) الأخلاق والسير، ص ٧٣.
(٢٤) روضة العقلاء، ص ١٠٣.
(٢٥) روضة العقلاء، ص ١٠٥.
(٢٦) رواه البخاري ٧٨/٧، ومسلم ٦٢٤.
(٢٧) الشعر والشعراء لابن قتيبة، ص ١٣٢.
(٢٨) ديوان عنترة، ص ٧٦.

من تاريخ الجامعة الإسلامية: دارالعلوم/ ديوبند

(الحلقة ٦٨)

بقلم: **الأستاذ/ سيد محبوب الرضوي الديوبندي -رحمه الله-**
(المتوفى ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م)
ترجمة وتعليق: **محمد عارف جميل القاسمي المباركفوري**(*)

من مؤلفات علماء ديوبند في الفقه وما يتعلق به

١- الحجة على أهل المدينة: للإمام محمد بن الحسن الشيباني. تعليق: المفتي مهدي حسن.

٢- أحكام القرآن(١): الشيخ ظفر أحمد التهانوي، والمفتي محمد شفيع الديوبندي،والشيخ إدريس الكاندهلوي.

٣- أحكام حج (أحكام الحج): المفتي محمد شفيع الديوبندي.

٤- آسان حج (الحج الميسر): الشيخ محمد منظور النعماني.

٥- اسلام كيا هے؟(ما الإسلام؟): الشيخ محمد منظور النعماني.

٦- آلات جديدة كے شرعي احكام (الآلات الجديدة من المنظور الشرعي): المفتي محمد شفيع الديوبندي.

٧- إمداد الفتاوى(٦ مجلدات): حكيم الأمة الشيخ أشرف علي التهانوي.

٨- إمداد المفتين: المفتي محمد شفيع الديوبندي.

٩- بغية الوعاة في تخريج الزيلعي.

١٠- بهشتي زيور ١١/ أجزاء: حكيم الأمة الشيخ أشرف علي التهانوي.

١١- ترجمة القدوري: المترجم: أبو الحسن الباره بنكوي.

١٢- تعليم الإسلام: المفتي كفايت الله الدهلوي.

١٣- حاشية السراجية: الشيخ رحمت الله السلهتي.

١٤- حاشية شرح النقاية (بالعربية): الشيخ إعزاز علي الأمروهي.

١٥- حاشية كنز الدقائق (بالعربية): الشيخ إعزاز علي الأمروهي.

١٦- حاشية نور الإيضاح (بالعربية): الشيخ إعزاز علي الأمروهي.

١٧- حج كيسے كرين (كيف نحج؟): الشيخ محمد منظور النعماني.

١٨- جواهر الفقه: المفتي محمد شفيع الديوبندي.

١٩- عزيز الفتاوى: للشيخ عزيز الرحمن العثماني الديوبندي.

ترتيب: المفتي محمد شفيع الديوبندي.

(*) أستاذ التفسير واللغة العربية وآدابها بالجامعة.

٢٠- فتاوى إمدادية (الأشرفية): حكيم الأمة الشيخ أشرف علي التهانوي.

٢١- فتاوى دارالعلوم/ ديوبند (١٠ مجلدات جاهزة).

ترتيب: المفتي ظفير الدين مدير مكتبة دارالعلوم/ديوبند.

٢٢- فتاوى محمدي مع شرح ديوبندي: الشيخ ميان السيد أصغر حسين الديوبندي.

٢٣- كفاية المفتي: الشيخ المفتي كفايت الله الدهلوي.

٢٤- مفيد الوارثين: الشيخ ميان السيد أصغر حسين الديوبندي.

٢٥- ميراث المسلمين: الشيخ ميان السيد أصغر حسين الديوبندي.

٢٦- نور الإصباح ترجمة نور الإيضاح: الشيخ السيد محمد ميان الديوبندي.

العقائد والكلام:

١- أحسن الكلام في أصول عقائد الإسلام: الشيخ رحيم الله البجنوري.

٢- اسلامي عقائد (بالأردية): الشيخ محمد عثمان الدربنجوي.

٣- اسلامي عقائد (بالبنغالية): الشيخ محمد عثمان الدربنجوي.

٤- ترجمة شرح عقائد: الشيخ عبد الأحد الديوبندي.

٥- حدوث ماده وروح: الشيخ إدريس الكاندهلوي.

٦- الدين القيم: الشيخ السيد مناظر أحسن الكيلاني.

٧- علم الكلام: الشيخ إدريس الكاندهلوي.

٨- عقائد الإسلام: الشيخ إدريس الكاندهلوي.

٩- عقائد الإسلام (قاسمي): الشيخ طاهر القاسمي الديوبندي.

١٠- عقد الفرائد حاشية على شرح العقائد: الشيخ محمد علي تشاتكامي.

الإحسان والسلوك:

١- احسان وتصوف (بالبنغالية): الشيخ أمين الحق ميمن سنغي.

٢- آداب الشيخ والمريد: حكيم الأمة الشيخ أشرف علي التهانوي.

٣- تبويب تربية السالك: حكيم الأمة الشيخ أشرف علي التهانوي.

٤- تربية السالك: حكيم الأمة الشيخ أشرف علي التهانوي.

٥- ترجمة أنفاس العارفين: الشيخ محمديوشع السهارن فوري النزيل بغوجرانوالا.

٦- التشرف بمعرفة أحاديث التصوف: حكيم الأمة الشيخ أشرف علي التهانوي.

٧- التصرف في تحقيق التصوف: حكيم الأمة الشيخ أشرف علي التهانوي.

٨- التكشف عن مهمات التصوف: حكيم الأمة الشيخ أشرف علي التهانوي.

٩- خصوص الكلم في حل فصوص الحكم: حكيم الأمة الشيخ أشرف علي التهانوي.

١٠- شرح المثنوي لمولانا الروم: الشيخ عبد القادر الديروي.

١١- شريعت وتصوف: الشيخ مسيح الله خان العلي كرهي.

١٢- عنوان التصوف: حكيم الأمة الشيخ أشرف علي التهانوي.

١٣- كليد مثنوي مولانا روم: حكيم الأمة الشيخ أشرف علي التهانوي.

١٤- مبادئ التصوف: حكيم الأمة الشيخ أشرف علي التهانوي.

١٥- مسائل السلوك من كلام ملك الملوك: حكيم الأمة الشيخ أشرف علي التهانوي.

الأدب واللغة:

١- اردو عربي دكشنري: الشيخ عبد الحفيظ البلياوي.

٢- بيان اللسان (قاموس أردو عربي): الشيخ القاضي زين العابدين سجاد الميروتي.

٣- البينات ترجمة قصائد لامية المعجزات إلى الأردية: الشيخ محمد إعزاز علي.

٤- ترجمة المقامات الحريرية مع الحاشية: الشيخ عبد الصمد صارم.

٥- توشيحات شرح سبع معلقات: الشيخ القاضي سجاد حسين.

٦- التعليقات شرح المقامات: الشيخ نور الحق.

٧- حاشية على ديوان المتنبئ(بالعربية): الشيخ محمد إعزاز علي الأمروهي.

٨- حاشية على ديوان الحماسة(بالعربية): الشيخ محمد إعزاز علي الأمروهي.

٩- حاشية على المقامات الحريرية: الشيخ محمد إدريس الكاندهلوي.

١٠- حاشية مفيد الطالبين: الشيخ محمد إعزاز علي الأمروهي.

١١- حاشية مفيد الطالبين: الشيخ محمد علي التشاتغامي.

١٢- حاشية مفيد الطالبين: الشيخ ظهور الحق الديوبندي.

١٣- قاموس القرآن(معجم كلمات القرآن والفوائد التفسيرية): الشيخ القاضي زين العابدين سجاد الميروتي.

١٤- القاموس الجديد: الشيخ وحيد الزمان الكيرانوي.

١٥- القراءة الواضحة (العربية): الشيخ وحيد الزمان الكيرانوي.

١٦- قصيدة لامية المعجزات (بالعربية): الشيخ حبيب الرحمن العثماني الديوبندي.

١٧- كلام عربي (مجلدان): الشيخ القاضي زين العابدين سجاد الميروتي.

١٨- مصباح اللغات: الشيخ عبد الحفيظ البلياوي.

١٩- معين اللبيب في قصائد الحبيب: الشيخ حبيب الرحمن العثماني الديوبندي.

٢٠- نفحة العرب (بالعربية): الشيخ محمد إعزاز علي الديوبندي.

٢١- نفحة الأدب: الشيخ وحيد الزمان الكيرانوي.

---

(١) يتناول كتاب «أحكام القرآن» المسائل الفقهية والعقدية المأخوذة من القرآن الكريم، ويركز على المسائل التي شهدها العصر الحاضر، وتخلو كتب السلف عن تفاصيلها. (السيد محبوب الرضوي)

الإمام أبو حَامِد الغَزَالي وإحياءُ عُلوم الدِين

بقلم: الدكتور أبوالكلام القاسمي[*]

يُعدّ حُجّة الإسلام والمسلمين أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطُوسي من العلماءِ الأفذاذِ، والدُعاة الصالحين، والفُضلاء النُبَلاء الأجِلّاء الذين امتازوا عن أقْرانهم بالمآثر العلميّة، والخدمات الإصلاحيّة والتَرْبويّة، والذين أثْرَوا المكتبات الإسلاميّة بالمؤلفات القيّمةِ النادرة التي تدحَض الآراءَ الفلسفيّةَ الباطلةَ، وتقمَع أفكارَ الحُكَماء وشُبهات المتكلّمين والمستشرقين، وتدعو الناسَ إلى إخلاصِ الدين لله وحده وهو التوحيد الذي يشكل جوهر الدين الإسلامي وطابعه وهدفه وغايته كما قال الله عزّ وجلّ ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[1].

نُبذَة عن حياته

هو حجّة الإسلام محمد بن محمد بن محمد، أبو حامد الغزاليّ، وُلِدَ في طُوس، وفَقَد صبيًّا أباه الذي كان يغزِل الصُوفَ ويبيعه في دكانه بطُوس، فلما حضرَتْه الوفاةُ أوصى بابْنَيْه: أبي حامد الغزالي وأحمد لإعطاء ما ادّخَرَه من مالٍ يسيرٍ إلى صديقٍ متصوّفٍ له، وقال لصديقه: «إن لي لتأسفًا عظيمًا على عدم تعلم الخطّ، وأشتهي استدراكَ ما فاتني في ولدّي هذين»[2].

فأشرفَ عليهما الوَصِي الصالحُ وعَلّمَهما الخطّ، إلى أن فنى ذلك المالُ اليسيرُ الذي كان قد خلّفه لهما أبوهما، وتعذّر على الصوفي القيام بقوتهما، فقال لهما: اعلما أني قد أنفقتُ عليكما ما كان لكما، وأنا رجلٌ من أهلِ التجريدِ، بحيث لا مالَ لي فأواسيكما به، وأصلح ما أرى أن تلجأ إلى مدرسة، فإنكما من طلبة العلم، فيحصُل لكما قُوتٌ، يُعِينكما على قوتكما، ففعلا ذلك، وكان هو السبب في سعادتهما وعُلُوّ درجتهما. وكان الإمام الغزالي يحكي هذا ويقول: «طلبنا العلمَ لغيرِ اللهِ، فأبى أن يكونَ إلا لله»[3].

وفي عهد الصبا في «طوس» أخذ طرفًا من الفقه على الفقيه أبي الأزهر الحسن بن أحمد بن محمد الراذكاني الطُوسي من أهل الطابران المتوفى حوالي ٥٣٠هـ[4]، ثمّ سافر إلى جُرجَان وتعلّم على الإمام أبي نصر الإسماعيلي ثم رجع إلى طوس وأقبل على العلم، ثم قدم نيسابور وتعلّم التصوف على أبي علي الفضل بن محمد الفارمذي الخراساني المتوفى ٤٧٧هـ كما لازم إمام الحرمين أبا المعالي عبد الملك بن محمد عبد الله الجويني ٤١٩-٤٧٨هـ، وقرأ عليه الفقه والكلام حتى بَرعَ في الفقه والمنطق والحكمة والفلسفة، وتصدّى للردّ على دَعاوِي المبطلين، وألف في كل ذلك كُتبًا كثيرةً، ولما مات إمام الحرمين خرج الغزالي إلى العسكر قاصدًا الوزيرَ نظامَ المُلْك، ونَاظَرَ الأئمة والعلماء في مجلسه فاعترفوا بفضله فولّاه التدريس في مدرسته ببغداد، فتوجّه إليها سنة أربع وثمانين وأربع مئة ٤٨٤هـ

(*) محاضر ضيف بقسم اللغة العربية وآدابها الجامعة العالية، بكولكتا، الهند

ودرّس بالمدرسة النِظامِيّة أربع سنوات من ٤٨٤ - ٤٨٨هـ، فاشتهر بذكائه وعِلمه وخُلقه حتى غَلبتْ أحشامُه الوزراءَ والملوكَ(٥).

الإمام الغزالي والزهد

أثناء إقامته في المدرسة النظامية، كان الإمام الغزالي منغمسًا في المال والجاه والشهرة، حتى بدأ في نفسه الصراع بين الشهوات والدنيا من جانبٍ، وبين التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخُلود من جانبٍ آخر. ولم يزل يتردد بين تجاذب شهوات الدنيا، ودواعي الآخرة حوالي سِتّة أشهرٍ حتى شرَحَ الله صدرَه كما يقول الإمام الغزالي:

«ثم أحسستُ بعجزي، وسقط بالكلية اختياري فالتجأتُ إلى الله تعالى، التجاء المضطرّ الذي لا حيلةَ له، فأجابني الذي يُجيب المُضطرّ إذا دعاه، وسَهُل على قلبي الإعراضُ عن الجاه والمال، والأولاد والأصحاب»(٦).

ثم بدأ الإمام يدبّر في نفسه السفرَ إلى الشام فبدأ الصراع بين الخوف والرجاء، فكان يخافُ حصولَ المعرفة وقلبه يغمُر الرجاء القوي في الفتح، ويرجو فضل الله عليه كما تفضّل الله على مَن سَلَفَ مِن الأولياء والعارفين، حتى وصل إلى الشام، وأقام بها حوالي سنتين، لا شغل له إلا العُزلة والخَلوة، والرياضة والمجاهدة، اشتغالًا بتزكية القلب وتهذيب الأخلاق، وتصفية القلب لذكر الله تعالى، وكان يعتكف في منارة مسجد دمشق طول النهار، ويغلق الباب على نفسه.

ثم رحل من الشام إلى بيت المقدس وتعبّد، ومن هنا إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، وزيارة قبر الرسول صلّى الله عليه وسلّم. ثم عاد إلى وطنه ملازمًا بيته، مشتغلًا بالتفكير، و هذا السفر من الشام إلى الحجاز غَرَسَ في قلبه حبَّ العُزلة، وحِرصَ الخَلوة وتصفية القلب، ودامتِ الحالُ على ذلك ما يقارب عشر سنواتٍ، وانكشف له في هذه الفترة أمور لا يمكن إحصاؤها كما قال الإمام في «المنقذ من الضلال»:

«ودُمتُ على ذلك مقدارَ عشر سنين، وانكشفت لي في أثناء هذه الخلوات أمورٌ لا يمكن إحصاؤها واستقصاؤها، والقدرُ الذي أذكره لِينتفعَ به. إني علمتُ يقينًا أن الصُوفيّة هم السالكون لطريقِ الله تعالى خاصّةً وأن سيرتهم أحسنُ السِيَر، وطريقَهم أصوبُ الطرق، وأخلاقهم أزكى الأخلاق؛ بل لو جُمِع عقلُ العقلاء، وحكمةُ الحكماء، وعلمُ الواقفين على أسرار الشرع من العلماء، ليغيروا شيئًا من سيرهم وأخلاقهم، ويبدلوه بما هو خير منه، لم يجدوا إليه سبيلًا. فإن جميعَ حركاتِهم وسكناتهم، في ظاهرهم وباطنهم، مُقْتَبسةٌ من نور مشكاة النبوة، وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به»(٧).

وكثمرة هذه العُزلة والخَلوة ألّف الإمام بعضًا من كتبه القيّمة في التصوّف منها: «المنقذ من الضلال» و «إحياء علوم الدين» و«فضائح الباطنيّة» و«معارف القدس في أحوال النفس» وما إلى ذلك.

إحياءُ علومِ الدِين

و كتاب «إحياء علوم الدين» من الكتب التي نَالتْ عنايةً كبيرةً لدى أهل العلم وإعجابًا عظيمًا لدى أهل التصوّف، فهو كتابٌ جامعٌ في أربعة أرباع: رُبعِ العبادات ورُبع العادات ورُبع المهلكات ورُبعِ المنجيات.

يناقش ربع العبادات كلًّا من العلم، وقواعد العقائد، وأسرار الطهارة، وأسرار الصلاة، و أسرار الزكاة، وأسرار الصيام، وأسرار الحج، وآداب تلاوة القرآن، والأذكار والدعوات، و ترتيب الأوراد في الأوقات.

ويتناول ربع العادات كلًّا من آداب الأكل، وآداب النكاح، وأحكام الكسب، والحلال والحرام، وآداب الصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق، و العُزلة، وآداب السفر، والسماع والوجد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وآداب المعيشة وأخلاق النبوة.

ويبيّن ربع المهلكات عجائب القلب، و رياضة النفس، وآفات الشهوتين: شهوة البطن وشهوة الفرج، وآفات اللسان، وآفات الغضب والحقد والحسد، وذم الدنيا، وذم المال والبخل، وذم الجاه والرياء، وذم الكبر والعجب، وذم الغرور.

ويشتمل ربع المنجيات على التوبة، والصبر والشكر، والخوف والرجاء، والفقر والزهد، والتوحيد والتوكل، والمحبة والشوق والأنس والرضا، والنية والصدق والإخلاص، والمراقبة والمحاسبة، والتفكر، وذكر الموت وما إلى ذلك.

آراء العلماء حول «الإحياء»

تتضارب الآراء حول هذا الكتاب، فبالغ قوم في مدحه حتى قالوا: «من لم يقرأ الإحياء فليس من الأحياء». وذمّه قوم حتى أفتوا بعدم قراءته؛ بل بإحراقه. إن الكتاب «إحياء علوم الدين» كتاب قيّم ذو معلومات نادرة لا توجد في أي كتاب قبله؛ ولكنه يشتمل على بعض الآثار الضعيفة؛ بل الموضوعة وعلى مواد فاسدة من كلام الفلاسفة، تتعلق بالتوحيد والنبوة والمعاد كما يحتوي على بعض أغلاط الصوفيّة؛ فإن هذه الأشياء أدّت إلى الاختلاف بين العلماء والفضلاء.

أولًا نستعرض من قاموا بمدحه بطرق عديدة فقال كمال الدين محمد بن موسى الدميري (١٣٤١–١٤٠٥م): «كتبه – الغزالي – نافعة مفيدة، لا سيما «إحياء علوم الدين» فإنه كتاب لا يستغني عنه طالب الآخرة»[٨]. وقال صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (١٢٩٦– ١٣٦٣م) في «الوافي بالوفيات»: وأما مصنّفاته فمنها كتاب «إحياء علوم الدين» وهو من أجلّ الكتب وأعظمها حتى قيل فيه: إنه لو ذهبتْ كُتُب الإسلام وبقي الإحياء لأغنى عما ذهب»[٩]. وقال أبو العباس ابن خلكان (١٢١١– ١٢٨٢م) في «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان»: ومنها «إحياء علوم الدين» وهو من أنفس الكتب وأجملها»[١٠]. وقال الشيخ عبد القادر بن عبد الله العيدروس (١٥٧٠– ١٦٢٨م) صاحب «النور السافر عن أخبار القرن العاشر»: من حصل كتاب «إحياء علوم الدين» وجعله في أربعين جلدًا ضمنتُ له على الله بالجنة»[١١]. وقال الشيخ حسين بن عبد الله الحضرمي في حق الإحياء: يداوى به من سموم الغفلة ويوقظ علماء الظاهر، ويوسع للعلماء الراسخين، ومن أنكر عليه فهو خارج عن الصواب[١٢].

بعض حكايات حول «الإحياء»

حكى العلامة المفنن محمد بحرق، تلميذ الشيخ جار الله بن فهد، قصّة زيارة النبي ﷺ واستفساره النبي ﷺ حول «الإحياء» فقال: «رأيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنام في ثغر عدن وقت السحر وبيده الكريمة كتاب يطالع فيه، قال

فقلت له: ألك اطلاع يا رسول الله على تصانيف أمتك؟ فقال: نعم. فقلت: ما تقول في عقيدة «إحياء علوم الدين»؟ قال: لا بأس بها»(١٣).

وقال القاضي جمال الدين محمد بن عمر الحضرمي: «رأيت في النوم ليلة العشرين من شهر صفر سنة اثنتين وعشرين وتسع مئة في وقت السحر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبين يديه كتاب يطالع فيه، فقلت لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ألك اطلاع على تصنيف أمتك. قال: نعم. فقلت له: فما تقول في عقيدة «إحياء علوم الدين»؟ قال: لا بأس بها»(١٤).

وذكر الشيخ عبد الرزاق البيطار، صاحب «حِلْيَة البشر في تاريخ القرن الثالث عشر» أنه قد كثر من زمن الأولين الاعتناء والمطالعة في كتاب «إحياء علوم الدين» حتى أن بعض علماء المغاربة ألف كتبًا حافلةً في فضائل الإحياء. و يحكى أن رجلًا من المشتغلين به اطلع على كتاب «تنبيه الأحياء على أغاليط الإحياء» فأقبل على مطالعته فما أتمّه إلا وقد ذهب بصره، فأكثر من البكاء والتَضرّع إلى الله عزّ وجلّ وعرف السبب وتاب إلى الله عزّ وجلّ، فرد الله عليه بصره»(١٥).

آراء الناقدين

ثانيًا: من قامَ بنقد «إحياء علوم الدين» وذمّه فمنهم أبو الحسنات عبد الحي الفرنجي محلي الذي قال في كتابه «الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة»: «إن العجب كل العجب أن واحدًا من المشايخ العظام كالإمام الغزالي صاحب «إحياء علوم الدين»، ومولانا عبد القادر الجيلاني مؤلف «غنية الطالبين»، وأبي طالب المكي صاحب «قوت القلوب»، هم من الصوفية الكبار معدودون في طبقات الأولياء، يضع حديثًا على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع اشتهار أن الكذب على رسول الله لا يحل لمسلم فضلًا عن مثل هذا المسلم»(١٦).

وقال ابن كثير صاحب «البداية والنهاية»: «صنف – الإمام الغزالي – في هذه المدة كتابه «إحياء علوم الدين»، وهو كتاب عجيب، يشتمل على علوم كثيرة من الشرعيات، وممزوج بأشياء لطيفة من التصوّف وأعمال القلوب، لكن فيه أحاديث كثيرة غرائب ومنكرات وموضوعات»(١٧).

وذات مرّة سُئِل ابن تيمية عن «إحياء علوم الدين» فأجاب «الإحياءُ» فيه فوائد كثيرة، لكن فيه مواد مذمومة، فإن فيه مواد فاسدة من كلام الفلاسفة، تتعلق بالتوحيد والنبوة والمعاد ... وفيه أحاديث وآثار ضعيفة؛ بل موضوعة كثيرة، وفيه أشياء من أغاليط الصوفية، وفيه مع ذلك من كلام المشايخ الصوفية العارفين المستقيمين في أعمال القلوب، الموافق للكتاب والسنة، ومن غير ذلك من العبادات والأدب، ما هو موافق للكتاب والسنة، ما هو أكثر مما يردُّ منه، فلهذا اختلف فيه اجتهاد الناس وتنازعوا فِيهِ»(١٨).

وقال صلاح الدين الصفدي في كتابه «الوافي بالوفيات»: أول ما دخل «الإحياء» إلى الغرب أنكروا فيه أشياء، وصنفوا عليه الإملاء في الرد على الإحياء. وقال الشيخ جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي: قد جمعتُ أغلاط الكتاب وسميّته إعلام الأحياء بأغلاط الإحياء(١٩).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: وكلامه في الإحياء غالبه جيد، لكن فيه أربع مواد فاسدة: مادة فلسفية، ومادة كلامية، ومادة صوفيّة، ومادة من

الأحاديث الموضوعة[٢٠].

ونظرًا إلى أهمية «الإحياء» علّق عليه العلماء قديمًا وحديثًا واختصره غير واحد منهم حرصًا على أن يستفاد مما فيه من خير بحذف ما سواه، ومنهم ابن الجوزي الذي حذف الأحاديث الموضوعة وسمى كتابه «منهاج القاصدين»، وقال في مقدمته: «فاعلم أن في كتاب الإحياء آفات لا يعلمها إلا العلماء وأقلها الأحاديث الموضوعة ....ثم قال: «وسأكتب لك كتابًا يخلو عن مفاسده ولا يخل بفوائده». ثم اختصر المقدسي «منهاج القاصدين» وهناك مختصرات أخرى أيضا كما قام بتخريج أحاديث «الإحياء» كل من الحافظ عبد الرحيم بن الحسين العراقي (٧٢٥- ٨٠٦هـ)، والحافظ أبو نصر عبد الوهاب السبكي المصري (٧٢٧- ٧٧١هـ)، ومحمد بن محمد المعروف بالمرتضى البلكرامي الزبيدي وغيرهم كثير[٢١].

وقد توصّلتُ بهذه الدراسة إلى أن كتاب «إحياء علوم الدين» كتابٌ لا مثيلَ له في بيان أسرار الشريعة وتطهير النفس وربطها بربها ودينها، ودنياها وآخرتها. وهو دواء نافع للعلماء وعامة الناس خاصة لمعالجة المشكلات التي نُواجهها اليوم مثل الخوار الروحي وتغلب الشهوات والحسد والعجب بالنفس والانحطاط الخلقي. فإن كتابه هذا و«المنقذ من الضلال» من الكتب المفيدة للوصول إلى العلوم الباطنة، وأما ما في «الإحياء» من الآثار الضعيفة أو الأشياء المردودة، ففي هذه الحال يجب أن نأخذ بالمثل القائل: «خُذْ ما صَفا ودَعْ ما كَدِر».

* * *

الهوامش:

(١) سورة غافر ١٤.
(٢) الدكتور عبد الحليم محمود، قضية التصوف – المنقذ من الضلال، ط٥: دار المعارف، القاهرة، ص: ٢٦٩.
(٣) نفس المصدر.
(٤) ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان، ط١، بيروت: دارصادر، لبنان، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م. ج٢، ص: ٣٠٠ .
(٥) فتاوى الأزهر ٣٥٣/١٠.
(٦) الدكتور عبد الحليم محمود، قضية التصوف – المنقذ من الضلال، ط٥: دار المعارف، القاهرة، ص: ٢٧٦- ٢٧٧.
(٧) الإمام الغزالي، المنقذ من الضلال، ص: ٦٩.
(٨) كمال الدين محمد بن موسى الدميري، حياة الحيوان الكبرى، دارالكتب العلمية، بيروت ط٢، ١٤٢٤هـ، ج١، ص: ٢٦٠.
(٩) صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١، ص: ١٢٠.
(١٠) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٤، ص: ٢١٧ .
(١١) عبد القادر بن عبد الرحمن العيدروسي، النور السافر عن أخبار القرن العاشر، ج١، ص: ١٦٧.
(١٢) الشيخ عبد الرزاق البيطار، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر. ط ١. دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٦١م، ج١، ص: ٣٧٦.
(١٣) عبد القادر بن عبد الرحمن العيدروسي، النور السافر عن أخبار القرن العاشر، ج١، ص: ٧٤.
(١٤) نجم الدين محمد بن محمد الغزي، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، دار الكتب المنصورة، ط١، ١٤١٨/ ١٩٩٧م، ج١، ص: ٢٢.
(١٥) الشيخ عبد الرزاق البيطار، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر. ط ١. دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٦١م، ج١، ص: ٣٧٦.
(١٦) أبو الحسنات عبد الحي الفرنجي، الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٤م ص: ٩.
(١٧) إسماعيل بن عمر بن كثير، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، سنة ١٤١٠/ ١٩٩٠م، ج١٢، ص: ٢١٤.
(١٨) الإمام ابن تيمية، مجموع فتاوى ابن تيمية، ج٢، ص: ٤١٣.
(١٩) صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١، ص: ١٢٠.
(٢٠) نفس المصدر .
(٢١) أبو عبد الله محمود بن محمد الحدّاد، تخريج أحاديث إحياء علوم الدين للعراقي والزبيدي وابن السبكي، دار العاصمة للنشر بالرياض، ط١، سنة ١٩٨٧م، ص: ٧- ٩.

العالم؛ بل كل العالم ينتظر الإسلام ليخلِّصه

بقلم: **الأستاذ يوسف أبو راس**

العالم ينهار على كل مستوى من المستويات، ينهار أخلاقيًّا، وينهار سياسيًا، وينهار اقتصاديًّا، وينهار اجتماعيًا، وينهار عسكريًا.

وسبب هذه الانهيارات واضح وضوح الشمس في رابعة النهار، إنه البعد عن المنهج الإلهي الذي جاء لحفظ حقوق البشر ولإرساء العدالة تحت بند: ﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة:٨].

والبشرية المتعبة لم تذق طعم الراحة الحقيقية إلا في ظل الإسلام الذي حكمها بقانون السماء: القرآن والسنة النبوية الشريفة، فما أن حورب هذا القانون، وغيب رجاله ذوي الأيادي المتوضئة حتى اجتالت الذئاب بني البشر لتقوم الحروب التي راح ضحيتها الملايين المملينة لا لشيء إلا لإشباع رغبات شياطين الإنس قبل شياطين الجن!!

وكنا نتمنى أن لو كان للإسلام دولة حقيقية تعكس آدابه وتعليماته، يعيش فيها الرئيس كما كان يجب أن يعيش لو كان حقًا وصدقًا منبثقًا عن الروح الإسلامية وتعاليمها، إذن لرأينا من أمثال أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ومن أمثال أبي عبيدة وخالد بن الوليد وسعد بن أبي وقاص وصلاح الدين الأيوبي وسيف الدين قطز!

ويعيش فيها المواطن العادي حرية وديمقراطية، الفيصل بينه وبين حاكمه كتاب الله: «والله لو رأينا فيك إعوجاجًا لقومناه بسيوفنا».

العيش في ظلال القرآن حتى يبدو المجتمع مدينة فاضلة حقيقيةً، وليس من نسج خيال أحد.

كان هذا في الماضي يوم حكم محمد -ﷺ- ويوم حكم مَن بعده مِن الخلفاء الراشدين المهديين: أبوبكر وعمر وعثمان وعلي، وقد تكررت الصورة يوم حكم الحاكم بالإسلام أيام عمر بن عبد العزيز وصلاح الدين الأيوبي وسيف الدين قطز وغيرهم على امتداد التاريخ، ذلك أن الحكم بما أنزل الله من القرآن والسنة حكم بتشريعات شرعها من يعلم بما يصلح من خلقهم وصورهم: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤].

والقرآن من عند الله سبحانه وتعالى لا يماري في ذلك إلا جاهل مغرور أو حاقد موتور، ولسنا هنا بصدد التدليل على أن هذا الكتاب هو من عند الله من خلال المعجزات العلمية التي تكتشف كل يوم، ولكن يكفي أن نقف قليلاً عند ما قاله العلامة بارتملي هيلر: «لما وعد الله رسوله بالحفظ بقوله:

﴿وَ اللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاس﴾ صرف النبي حراسه، والمرء لا يكذب على نفسه فلو كان لهذا القرآن مصدر غير السماء لأبقى محمد على حراسته».

ومحمد-ﷺ- الذي قال عنه ربه - سبحانه وتعالى- في كتابه الكريم: ﴿وَمَا آتَٰكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَٰكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر:٧] جاء بالسنة المطهرة «جئت بالقرآن ومثله معه».

ولكن ولأن القرآن والسنة لا يمثلها نظام قائم؛ بل إن كل النظم في حقيقة الأمر تطارد الذين يتخذون من النظام الإسلامي منهاج حياة، لم يقم أحد من الزعامات العربية ولا الإسلامية ليرد على الرئيس الأمريكي «باراك أوباما»، الذي وقف أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة ليدعي كذبًا وزورًا قائلًا: «إن العالم ينتظر الولايات المتحدة لتتولى قيادته».

والولايات المتحدة التي قامت على جماجم ملايين الهنود الحمر، الذين أبادهم المستعمر الأبيض القادم من بعيد من أوروبا!!

الولايات المتحدة التي قامت على عرق ودموع ودماء السود، الذين اختطفهم مرتزقة ملكة بريطانيا العظمى آنذاك من قراهم ومدنهم وأدغالهم وحشرتهم في قعر سفنها التي لا تصلح حتى للشحن الحيواني لترسل بهم إلى العالم الجديد أمريكا ليعملوا عمل البهائم في أرض السيد الأبيض المغتصبة من سكانها الأصليين، وباراك أوباما بقايا هؤلاء الضحايا!!

الولايات المتحدة التي تعيش فيها أقلية بيضاء لا تتجاوز الـ١٠٪ من مجموع الخليط اللامتجانس الذي يعيش هناك على دماء البقية الباقية من الناس الذين يعيشون هناك!!

الولايات المتحدة التي ترتكب فيها حسب إحصائياتهم في كل ٣٠ ثانية جريمة قتل وسرقة وانتهاك عرض!!

الولايات المتحدة التي انهارت اقتصاديًّا وجرت اقتصاديات العالم المتقدم والمتخلف معها على حد سواء هي على زعم أوباما من ينتظرها العالم لقيادته!!

نكتة سخيفة ووقحة في ذات الوقت، ولكنها ممن بيده جبروت القوة وعلى الجميع أن يفغروا أفواههم متظاهرين بالضحك والترحيب؛ بل والإعجاب!

لقد خسر عالمنا المعاصر خسارةً عظيمةً، عندما غيب الإسلام عن الحياة العامة والخاصة، أشار إليها العلامة أبو الحسن الندوي – رحمه الله تعالى – في كتابه القيم: «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» حيث أشار إلى أن انحطاط المسلمين وفشلهم وانعزالهم عن قيادة الأمم وانسحابهم من ميدان الحياة والعمل أخيرًا، حادث من نوع ما وقع وتكرر في التاريخ من انحطاط الشعوب والأمم، وانقراض الحكومات والدول، وانكسار الملوك والفاتحين، وانهزام الغزاة المنتصرين وتقلص ظل المدنيات والجزر السياسي بعد المد، لم يكن حادثًا من نوع ما وقع وتكرر في التاريخ، لأن هذا الانحطاط

الـذي انحطـه المـسلمون لم يكـن يخـص العـرب وحـدهم، ولا يخص الـشعوب والأمـم التـي دانـت بالإسلام، فضلًا عن الأسر والبيوتات التي خسرت دولتها وبلادها؛ بل هي مأساة إنسانية عامة لم يشهد التاريخ أتعس منهاولا أعم منها، فلو عرف العالم حقيقـة هـذه الكارثـة، ولـو عـرف مقدار خسارته ورزيته، وانكشف عنه غطاء العصبية، لاتخذ هذا اليوم النحس الذي وقعت فيه – يوم عزاء ورثاء ونياحـة وبكـاء، ولتبادلـت شـعوب العـالم وأممـه التعازي، ولبست ثوب الحداد!!

ولكـن لم يكـن انحطـاط المـسلمين وزوال دولـتهم وركـود ريحهـم وهـم حملـة رسـالة الأنبيـاء، وهـم للعـالم البـشري كالعافيـة للجـنس الإنـساني انحطاط شعب أو عنصر أو قومية، ولكنه انحطاط رسالة هي للمجتمع البشري كالروح، وانهيار دعامة قام عليها الدين والدنيا!!

ومن هنا فنحن ندعو المخلصين من أبناء الأمم والشعوب أن يتفكروا فينظروا ماذا كان حال البشرية قبل الإسلام «العصر الجاهلي» وما هو الحال الذي آلوا إليه يوم أن حكمتهم شريعة التوحيد، ثم ما هو حال الأمم والشعوب بعد أن أقصى شياطين الإنس والجن الإسلامَ عن قيادة هذه البشرية المتعبة!!

إن هـذه البـشرية المتعبـة بحاجـة إلى المـنهج الإسـلامي ينتـشلها مـن جديـد مـن هـذه الهـوة السحيقة، التي تهوي فيها بسرعة أكبر من سرعة الصوت نفسه، لذا فإن الشعوب؛ بل كل الشعوب متعطشة لهذا الدين ولتعاليم هذا الدين. ومن هذه الحقيقـة وقـف هـانوتو وزيـر خارجيـة فرنـسا سـابقًا يقـرر هـذه الحقيقـة: «لا يوجـد مكـان عـلى سـطح الأرض إلا واجتاز الإسلام حدوده وانتشر فيه، فهو الـدين الوحيـد الـذي يميـل النـاس إلى اعتناقـه بـشدة تفوق أي دين آخر».

كانـت لنـا جـارة عراقيـة آشـورية، عَلِمْـت مـن زوجتي أنها تجمع الجارات على فنجان قهوة كل صباح لتحدثهن عن الأب والابن وروح القدس إله واحد، قلـت: هيـا بنـا نـزورهم فهـم جيراننـا، طرقنـا البـاب فتحت لنا ورحبت هي وزوجها بنا، لما أخذنا مجلسنا كان طفلها البالغ السنة من عمره يلعب أمام التلفاز بمكعبات «اللوجو» غير آبه بالرسوم المتحركة «توم وجيري» الـصاخبة، فما أن قطع الإرسال لنقل أذان المغرب، وما أن نادى المنادي «الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر» حتى ترك الطفل ما بيديه من مكعبات والتفت بكليته إلى مصدر الصوت وظل هكذا حتى قال المؤذن: «لا إله إلا الله».

التفت إلى أم قيس، وقلت لها: أرأيت ما فعل قـيس؟ قالـت: مـاذا فعـل؟ قلـت: كـان يلعـب بالمكعبات على الرغم من غرام الأطفال بالرسوم المتحركة وبتوم أند جيري؛ ولكنه لما سمع الأذان وكلمـة التوحيـد تـرك كـل شيء وأنـصت بكليتـه!! قالت: وماذا في هذا؟ قلت هذه الفطرة التي فطر الله الناس عليها، والتي قال فيها الصادق والمصدوق محمد ﷺ: «كـل مولـود يولـد عـلى الفطـرة فـأبواه

يهوّدانه أو يمجسانه أو ينصرانه» ولم يقل أو يؤسلمانه؛ لأن كل طفل يولد مسلمًا يشهد لله – سبحانه وتعالى– بالوحدانية!!

انتهت عند هذا الزيارة وانتهت معها محاولات زعزعة العقيدة ولا أقول محاولات التنصير!!

الناس كل الناس ولدوا على فطرة الإسلام، وليس في الدين الإسلامي إلا المنطق الواضح الصريح الذي لا لبس فيه ولا غموض!!

نقلت لكم يومًا هذه القصة التي حدثت معي عندما سألتني لماذا يغطي الإسلام المرأة من قمة رأسها إلى أخمص قدمها؟ قلت لها يومها: لقد كنت في الأسبوع الماضي في ميامي للحصول على فيزا لجزيرة أروبا إحدى جزر الكاريبي، طلب منا أن نعود بعد ساعتين، خرجنا نتمشى فوجدنا أنفسنا على شاطئ ميامي الشهير بعريه وفسقه وفجوره، خرجنا سريعًا!!

ضحكت، فشاطئ ميامي شاطئ عاريات، ثم قالت: ثم ماذا؟

قلت لها: هل يمكنك القول لي ماذا تركت هذه المرأة العارية من كل شيء لي كرجل لأكتشفه فيها؟

زمت شفتيها وقالت لا شيءٍ!!

قلت بينما من الممكن جدًّا لي أن أسير كرجل وراء المرأة المتلحفة بثيابها من قمة رأسها إلى أخمص قدمها عشر كيلومترات على أمل أنتهب نسمة هواء تكشف لي عن كعب رجلها!!

المرأة يا سيدتي عندنا وفي ديننا جوهرة، وليس ليمونة تعصر ثم على قارعة الطريق ترمى!!

أطرقت رأسها ثم قالت أنت منطقي:

قلت: ديننا كله منطق يتوافق مع النفوس السوية، ولكن شياطين الإنس يخافون هذا الدين؛ لأنه من سيحرر الأمم والشعوب مما هي فيه من استعباد، وإن ادعوا الحرية والديمقراطية والليبرالية، فحريتهم وديمقراطيتهم وليبراليتهم حوَّلت الإنسان إلى آلة جوفاء، وإلى حيوان ناطق يأكل ويشرب ويستافد والإنسان لم يخلق لهذا!!

العالم بحاجة إلى هذا الدين أكثر من أي وقت مضى، وهذا يشكل خطرًا ما حقًّا على المؤسسات الاستعمارية التي تقوم على امتصاص دماء الأمم والشعوب، لذا قام أكابر مجرميهم ومنظريهم بالتحذير من الإسلام.

فهذا بن غوريون يقول: «لكننا وجدنا أن الخطر الحقيقي علينا موجود في الإسلام وفي قدرته على التوسع والإخضاع وفي حيويته المدهشة».

وهذا لورنس براون يقول: «من يدري ربما يعود اليوم الذي تصبح فيه بلاد الغرب مهددةً بالمسلمين يهبطون إليها من السماء لغزو العالم مرةً ثانيةً وفي الوقت المناسب».

وهذا سالازار يقول: «إن الخطر الحقيقي والعنيف الذي يهددنا مباشرةً هو الخطر الإسلامي، فالمسلمون عالم مستقل كل الاستقلال عن عالمنا الغربي، فهم يملكون تراثهم الروحي الخاص بهم ويتمتعون بحضارة تاريخية ذات أصالة، فهم

جديرون أن يقيموا قواعد عالم جديد دون الحاجة إلى إذابة شخصيتهم الحضارية والروحية في الحضارة الغربية. إن الإسلام يفزعنا عندما نراه ينتشر بيسر في القارة الأفريقية».

وهذا ألبر مشادور يقول: «المسلمون يمكنهم أن ينشروا حضارتهم في العالم الآن بنفس السرعة التي نشروها بها سابقًا، بشرط أن يرجعوا إلى الأخلاق التي كانوا عليها حين قاموا بدورهم الأول؛ لأن هذا العالم الخاوي لا يستطيع الصمود أمام روح حضارتهم».

ويقول توينبي: «إذا أعطي المسلمون الحرية في العالم الإسلامي، وعاشوا في ظل أنظمة ديمقراطية فإن الإسلام ينتصر في هذه البلاد، وبالديكتاتوريات وحدها يمكن الحيلولة بين الشعوب الإسلامية ودينها».

ويضع المستشرق البرتغالي النقطة الأخيرة على حرف المؤامرة فيقول: «إذا وجد القائد المناسب الذي يتكلم الكلام المناسب، فإن من الممكن لهذا الدين أن يظهر كأحد القوى السياسية العظمى في العالم مرةً أخرى».

إذن فإن رجوع المسلمين إلى أخلاقهم الإسلامية التي ستعطي القدوة، وإذا أتيح للمسلمين تنسم عبق الحرية والديمقراطية، الشورى، والتي تعني الإبداع، وإذا وجد القائد الرباني الذي يعتقد يقينًا أنه ومن معه قدر الله في أرض الله، فإن هذا الدين لا بد له أن ينتصر، وأن الشعوب المتعبة والمنهكة من القوانين الوضعية ستدخل في دين الله أفواجًا لتزج بمصاصي الدماء وزعماء العصابات في غياهب السجون والمعتقلات لتحاكمهم على ما اقترفته أيديهم من جرائم بحق البشرية.

لهذا كله كان لابد من سلخ المسلمين عن دينهم دون أن يثار إيمان محمدي على زعمهم، فهم يريدون المسلم مسلمًا يشرب الخمر، ويتعامل بالربا ويزني، ويكذب لتفتقد القدوة أمام شعوب الأرض.

ولأن أمة محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لا تجتمع على باطل، ولأن الخير فيها ما دامت السماوات والأرض، فكان لا بد من تسليمها لمن يوردونها المهالك ويحلونها دار البوار في الدنيا قبل الآخرة. فكان ما نراه من أنظمة قمعية تصفق لها أمريكا والغرب وتدعمها؛ لأنها تحصي على الأيادي المتوضئة أنفاسهم، وتزج بهم في غياهب السجون والمعتقلات وأعواد المشانق!!

العالم يا سيادة الرئيس «أوباما» ينتظر الإسلام ليخلِّصه من عصابات البيت الأبيض ومن لوبيات بني صهيون!!

والإسلام لا محالة قادم والجولة الأخيرة له وليس لغيره، وهذا هو سبب فزعكم واستنفاركم ووجلكم حتى من حجاب تغطي به طفلة شعرها!!

الإسلام قادم، وأنتم إلى مزابل التاريخ رغمًا عن أنوفكم ذاهبون، تقولون: متى هو؟ ونقول: عسى أن يكون قريبًا!!

* * *

التناصّ القرآني في شعر إقبال

بقلم: **الأستاذ محمد شمشاد عالم القاسمي**(*)

الدكتور محمد إقبال الملقَّب بـ«شاعر الشرق» و«شاعرالإسلام» شاعر مبدع، وفيلسوف نابغ، يشيع ذكره، ويذيع صيته على مر الأيام والسنين، وهو من مواليد السبعينيات من القرن التاسع عشر، ومن الأفذاذ الذين قلما يجود بهم الزمان، وكان يتمتع بعقل كبير وقلب منير، سعى بكل ما في وسعه، لأن يصبغ الأمة المسلمة من جديد بصبغة الإسلام، ﴿صِبْغَةَ اللهِ، وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً، وَّنَحْنُ لَهُ عٰبِدُوْنَ﴾.

وهو عالم روحي، قد حاول طول حياته أن ينشّيء المسلمين نشأةً جديدةً، وأن يسنّ لهم طريقةً هي في الحقيقة طريقة عريقة، جذورها راسخة في أوائل القرون الإسلامية، كما حاول منذ ما بدأ قرض الشعر أن يصوغ الأمة المسلمة في ضوء أعمال عظماء الإسلام ومآثر أبطال المسلمين، وهو صاحب فكر جوال، فيقول الدكتور عبد الوهاب عزّام: «(هو) المفكر الحر، والفيلسوف الذي لايسير مع الزمان، ولايخضع لتقلب الحدثان، والشاعر الذي ينفخ الحياة في الموات، ويبعث في القفر ألوانَ النبات، ويشعل الجمر الخامد في الرماد الهامد»[1].

وجمع إقبال ما بين معارف الشرق والغرب وحِكمهما، ولكنه لم تستأسره مذاهب فلاسفة الغرب وبريق الحضارة الغربية المنمّقة؛ بل نقدها نقدًا لاذعًا، وكشف الستار عن وجوهها الخادعة، وفنّدها بحجج دامغة، ونجد في شعره عقيدةً ودعوةً ورسالةً، ويُعَدّ من أكبرالثُوّار على الحضارة الغربية المادية، ومن أعظم النُقَّاد لها، فيقول السيد أبو الحسن علي الندوي: «إني أحببته وشُغلت به كشاعر الطموح والحب والإيمان، وكشاعر له عقيدة ودعوة ورسالة، وكأعظم ثائر على هذه الحضارة الغربية المادية، وأعظم ناقد لها وحاقد عليها، وكداعية إلى المجد الإسلامي، وسيادة المسلم، ومن أكبر المحاربين للوطنية والقومية الضيقتين، وأعظم الدعاة إلى النزعة الإنسانية والجامعة الإسلامية»[2].

ولا ريب في أنه من قلائل الشعراء الذين قرضوا القصائد مستقين من الآيات القرآنية، وسيرة الرسول –ﷺ– وسِيَر الصحابة –رضي الله عنهم أجمعين– وأخبارهم وأحداثهم، ومآثر رجال التاريخ الإسلامي بأسلوب جميل رشيق وممتع شيق وبصورة موحية، فكان من الذين لديهم قلوب خفاقة للإسلام والمسلمين؛ بل لجميع الإنسانية، ولتوجيه الجيل الجديد توجيهًا سليمًا ورشيدًا، ومن الذين عاشوا بالإسلام وللإسلام كما يشهد به إنتاجاتهم الشعرية الإبداعية.

إقبال والقرآن الكريم

إن فترة الطفولة تؤثر في الإنسان نفسيته وعقليته

(*) باحث الدكتوراه، مركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جواهرلال نهرو، دهلي الجديدة، الهند.

وسلوكه وخلقه تأثيرًا لا يُجحد، وتترك في نفسه خطوطًا عميقةً، وهي الفترة التي تُحدّد مجرى حياة الإنسان ومساره، وتقوم بيئة الطفولة بدور كبير في تشكيل شخصية الإنسان الفكرية والثقافية، وفي تكوين ذوقه العلمي والفني، ومن حسن حظ محمد إقبال أنه توفرت له بيئة متدينة ومحافظة، فتفتحت عيناه في طفولته على جوّ روحاني، فيقول الدكتور أكبر حسين القريشي: «ولم يكن والد إقبال ذا ثروات كثيرة وصاحب أموال طائلة؛ ولكنه كان يحتل مكانةً مرموقةً ومحترمةً في مدينته من أجل تمسكه بالدين، وتحلّيه بالأخلاق الحسنة، وكان مصبوغًا بصبغة التصوف والإحسان، وقد أشار إقبال بنفسه في بعض أبياته إلى ميزته التراثية هذه، فيقول:

الأسرة التي أكون لها مصباحًا منيرًا

تتحلى هي بذوق صوفي نسلًا فنسلًا

فنشأ إقبال في بيئة صوفية، وقام والده بتربيته الدينية، وبتنشئته الخلقية»(٣). ويقول الدكتور نجيب الكيلاني: «لقد كان والد إقبال صوفيًا زاهدًا، يهتز فؤاده رهبةً وإشفاقًا، وتدمع عيناه خوفًا ووجلًا، كلما ذُكرت الجنة والنار، وكلما سمع أو قرأ عن هول يوم الحشر، ورهبة يوم الحساب»(٤).

ففي كنف أبيه الزاهد التقي، والبيئة الدينية، وجو السكون الصوفي، نشأ وترعرع إقبال، فكان من الطبيعي أن يتأثر بذلك، فانطبع في ذهنه حب الدين ورسوله-ﷺ-، وكان يرى أباه يصلي ويتلو القرآن الكريم مواظبًا عليه، فلم يكن إقبال إلا أن يتأثر بذلك، فرسخ في نفسه الولعُ بالقرآن الكريم، فأصبح مولعًا به منذ نعومة أظافره، وشُغف به، فكان يواظب على تلاوته كل يوم في الصباح، متبعًا أباه.

ولكن والده شاء أن لا تكون تلاوة ابنه للقرآن الحكيم تلاوةً عاديةً مثل أبناء زمانه، فأشار عليه يومًا أن يقرأه ويفهم معانيه، ويدرك دقائقه وأهدافه، كأنما أُنزل عليه، فيقول الدكتور الكيلاني: «وقد حرص أبوه على أن لا تكون قراءة (إقبال) كلمات تُلقى، وآيات تُتلى، وإنما قال له: «يا بُنيَّ، اِقرأ القرآن كأنه نزل عليك....» وفي ذلك يقول(إقبال): «ومنذ ذلك اليوم بدأت أتفهم القرآن وأقبل عليه، فكان من أنواره ما اقتبست ومن بحره ما نظمت»، (و) كان الشيخ (أبوه) يريد لابنه أن يعي ما يقرأ، ويفهم ما يتلو... ثم ماذا؟ ثم يتصور أن هذا القرآن قد نزل عليه هو، أي أن الله يخاطبه ويدعوه أن يعمل ويكافح ويثابر، ويتلقى المسؤولية كاملةً، ويقوم بأعباء أخطر رسالة، وينهض بأثقل حمل»(٥)، فكانت تلاوة إقبال للقرآن الكريم مختلفةً تمامًا عن تلاوة أهل زمانه، فكان أعظم الكتب تأثيرًا فيه مما غيّر مجرى حياته، وسدّد فكرته ونظرته.

ويرى إقبال أن السبب الوحيد وراء تخلف المسلمين في جميع مجالات الحياة، هو إعراضهم عن القرآن والامتثالِ به وتحكيمِه في جميع شؤون الحياة، واتخاذُهم إياه مهجورًا، فلذلك هو«يعتب على المسلمين إعراضهم عن هذا الكتاب الذي يرفع الله به أقوامًا، ويضع به آخرين، يقول في مقطوعة شعرية: «إنك أيها المسلم لاتزال أسيرًا للمتزعمين للدين، والمحتكرين للعلم، ولاتستمد حياتك من حكمة القرآن رأسًا، إن الكتاب الذي هو مصدر حياتك ومنبع قوتك، لا اتصال لك به إلا إذا حضرتك الوفاة، فتُقرأ عليك سورة «يٰس» لتموت بسهولة، فواعجبا! قد أصبح الكتاب الذي أُنزل ليمنحك الحياة والقوة، يُتلى الآن لتموت براحة وسهولة»(٦).

ونجد في قصائده التجليات التاريخية والحقائق

الثابتة والنتائج العميقة والاستنتاجات القيمة، فدواوينه حافلة بنماذجها، فما هو سببها الأساسي؟ يجيب الأستاذ الندوي عن ذلك قائلًا: «وقد دلّه على الوصول إلى تلك الحقائق والنتائج العميقة فهمُه العميق للقرآن، ودراسته المخلصة والمتواصة لهذا الكتاب المعجز»[٧]، وهذا ما أشار إليه أستاذي الشفوق نورعالم خليل الأميني، فقال: «لا يمكن شاعرًا أن يقرض مثل هذه الأبيات والقصائد المليئة بالحقائق التاريخية والنتائج العميقة، والمتحلية بحب الله -عزّ وجلّ- ودينه، وحب رسوله -ﷺ- وسنته، إلا من درس القرآن الكريم دراسةً متواصلةً ومتأنيةً، وفهمه فهمًا عميقًا، ومن أحبه حبًا قلبيًا، وعشقه عشقًا متفانيًا»[٨].

هذا يعكس صلة إقبال القوية بالقرآن الكريم، وعلاقته الوثيقة به، وإيمانه القوي به، الذي لم يستطع أن يزلزله طوفان العصر الملحد وحوادثه، كما يشير ذلك إلى حبه للقرآن الكريم الذي شغفه حبًا منذ الطفولة، وأصبح إقبال أسيرًا لبهجته وروائه، وفكرته ورؤيته، والذي أبهره إعجازه ومعانيه، فلذلك نجد في قصائده انعكاسات القرآن الكريم، والتناص الديني والتاريخي وما إلى ذلك، ثم من ألوان التناص الديني التناص القرآني، وتناص الحديث الشريف، ولكن ما هو التناصّ؟

ماهو التناصُّ؟

«التناص» (Intertextuality) مصطلح نقدي غربي الولادة، ويقول محمد عزام: «ويبدو أن لهذا المصطلح ظهورات عديدة في تراثنا النقدي، وإن ظهر بأسماء مختلفة، فقد روى ابن رشيق صاحب كتاب «العمدة» قول علي ابن أبي طالب-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: «لولا أن الكلام يعاد لنفد»، تأكيدًا لحقيقة فنية رددها عنترة في معلقته: «هل غادر الشعراء من متردّم»، ثم ذكرها أبو تمام في قوله: «كم ترك الأول للآخر»، وقد وردت في تراثنا النقدي مصطلحات عديدة تقارب مصطلح «التناص» في الحقل البلاغي كالتضمين، والتلميح، والإشارة، والاقتباس...، وفي الميدان النقدي كالمناقضات، والسرقات، والمعارضات...؛ إذ يشير ابن سنان الخفاجي في كتابه «سر الفصاحة» إلى حضورشعر القدماء في شعر المحدثين»[٩].

التناص لغةً: التناص من نصص، وجاء في لسان العرب: «النَصُّ، رفْعُكَ الشيء، نصَّ الحديثَ ينصُّه نصًا: رفَعَه، وكل ما أُظْهِر فقد نُصَّ، وقال عمرو ابن دينار: مارأيت رجلًا أنصَّ للحديث من الزهري أي أرفَعَه له وأسندَ، يقال: نصّ الحديثَ إلى فلان أي رفَعَه... ونصَّ المتاع نصًّا: جعل بعضه على بعض»[١٠].

التناص اصطلاحًا: وقد تعرّض عديد من النُقاد لتعريفه وتحديد مفهومه الاصطلاحي، فيقول محمد عزام: «التناص تشكيل نص جديد من نصوص سابقة أومعاصرة، بحيث يغدو النص المتناص خلاصة لعدد من النصوص التي تمّحي الحدود بينها، وأُعيدت صياغتها بشكل جديد، بحيث لم يبق من النصوص السابقة سوى مادتها، وغاب الأصل فلا يدركه إلا ذوالخبرة والمران»[١١].

وفي رأي أحمد الزعبي التناص: «يعني أن يتضمن نص أدبي ما نصوصًا أوأفكارًا أخرى، سابقةً عليه عن طريق الاقتباس أوالتضمين أوالتلميح أوالإشارة أوما شابه ذلك من المقروء الثقافي لدى الأديب، بحيث تندمج هذه النصوص أوالأفكار مع النص الأصلي، وتُدغم فيه ليتشكل نص جديد واحد متكامل»[١٢]، فمما سبق يظهر أن

التناص لدى النقاد هو إعادة صياغة النصوص السابقة بشكل جديد بحيث تندمج هذه النصوص مع النص الجديد، ويتشكل نص مستأنف.

من نماذج التناص القرآني في أبيات الدكتور إقبال

وفي قصائده وأبياته حضور بارز للتناص بمعظم أقسامه من التناص التاريخي، والأدبي، والديني، وقدّم من خلال ذلك أفكارَه ومواقفه وآراءه، وبما أن هذا المقال يهدف إلى إبراز نماذج التناص القرآني فحسب في أبياته، سيركّز الباحث عنايته على ذلك دون نماذج التناصات الأخرى، والتناص القرآني هو نوع من التناص الديني، ويعني أن يوظّف الشاعر بعض المعاني أوالكلمات أوالآية القرآنية، ويدخلها في سياق نصه، ويدغمها فيه بحيث تندمج معه، ويهدف الشاعر منه إلى أن يضيف رؤية فكرية إلى الموضوع الذي يعالجه، مما يزيد كتاباته ونصوصه ثراءً وقوةً وترابطًا، ويقوم بتعزيز الفكرة التي يقدّمها في نصوصه.

وقد استقى الدكتور إقبال من الأضواء القرآنية، واستلهم من الإيحاءات القرآنية، ولا ريب في أن القرآن الكريم بأسلوبه البليغ والإعجازي قد زوّد تجربته الشعرية بقوة كبيرة وتأثير ساحر، فنراه قد يوظف آيةً كريمةً أو كلمات قرآنيةً متعددةً، وأحيانًا يستلهم مضمون أية كريمة، وتارةً يقتبس فكرة آيةٍ معيَّنة، كما يستفيد من مفردات وجمل وتراكيب وأساليب قرآنية، وأحيانًا يذكر أسماء أشخاص ذُكروا في القرآن الكريم، ويوظفهم في نصوصه فيشير بهم إلى القصص المرتبطة بهم.

وقد عالج إقبال في شعره موضوع الحياة والعالم، يذكر حقائقهما والحقائق فيهما، فنلاحظ في شعره دعوة إلى إيقاظ الإنسان ووعيه وقدرنفسه، ويرى أن هذا الكون وما فيه كله مسخّر للإنسان فعليه أن يوظّفه لصالح الإنسانية والبشرية، فيقول الدكتور عبد الوهاب عزّام: «موضوع شعره الحياة والعالم، يبيّن فيهما الحقائق، ويكشف الأسرار، ويوقظ الإنسان ويدعوه إلى قدر نفسه، وتقوية ذاته، ويناديه أنك أعلى الخليقة، وأن العالم كله مسخّر لك، وأمامه في هذه الدعوة القرآن الكريم، كما في الآية: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيْ اٰدَمَ وَحَمَلْنٰهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنٰهُم مِّنَ الطَّيِّبٰتِ وَفَضَّلْنٰهُمْ عَلٰى كَثِيْرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيْلًا﴾ والآية: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيْعًا مِّنْهُ﴾[١٣]، والآيات الأخرى التي تتحدث عن تسخير الكون لصالح الإنسان، فيقول في «رسالة الخلود»(جاويد نامه):

«يا إلهي مثل هذا اليوم هَبْني
إن يومي مُزمَهِرٌّ فلْتُغِثْنيْ
آية التسخير فيمن أُنزلت
هذه الأفلاك فيمن حَيّرت»[١٤]

ففي البيت الثاني يشير إقبال إلى الآية القرآنية: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَّبَاطِنَةً﴾[١٥]، ويريد أن «يقول إن هذا العالم مسخّر للإنسان، وإن للإنسان فيه جهادًا، وإن لذة الإنسان وكماله في هذا الجهاد، ومن سخّر المحسوسات فقد أنشأ عالمًا من ذرة، إن الجبال والصحارى والبحار لوح لأرباب النظر، أيها النائم بالأفيون، والمحتقر عالم الأسباب، افتح عينيك واعرف قدر هذا العالم، إن غايته توسيع «ذات» المسلم وامتحان ممكناته»[١٦].

والدكتورإقبال هو شاعرالطُموح والأمل والرجاء فلا يقترب منه اليأس والقنوط والتشاؤم أيّ اقتراب، ويرى أن اليأس والخوف والحزن

أمهات الخبائث وقاطعات طريق الحياة، فيدعو إلى العمل الدائب والجهد المتواصل ويشيد بهما، فيقول الدكتورعزّام: «والأمل في شعر إقبال كله هو الحياة، والجهاد الدائب هو حافظ هذه الحياة، وإن قارئ إقبال ليروعه إعظام إقبال الأملَ، وتصويره إياه وإشادته بالعمل الدائب والجهد المستمر»[١٧]، فيقول مستلهمًا فكرته هذه من القرآن الكريم:

«عُدّة الموت قُنوط مُحبطُ

والحياة الحق أن «لَا تَقْنَطُوْا»»[١٨]

ففي الشطر الثاني من هذا البيت يتناصّ إقبال مع قوله تعالى: ﴿قُلْ يٰعِبَادِيَ الَّذِيْنَ أَسْرَفُوْا عَلٰىٓ أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوْا مِن رَّحْمَةِ اللهِ﴾[١٩]، ويريد أن يقول: إن اليأس والقنوط سموم قاتلة وعدة الموت وأسبابه، ومن يؤمن بالله الغفوروتوحيده لايقنط ولا ييئس من رحمته ورَوحه، فمن خلال ذلك يدعو إقبال إلى التوحيد والإيمان به والتمسك به؛ لأنه هو أساس الدين والشرع، ورأس كل حكمة وقوة، وهو الذي يزيل الحزن والخوف والشك، وينفث في الإنسان الأملَ والعمل، و«هو الإكسير الذي يحيل التراب ذهبًا، والسر الذي يتجلى منه الدين والشرع والحكمة والقوة والسلطان، وهو الدواء الذي يميت الخوف والشك، ويحيي العمل والأمل، ويقهر كل صعب، ويذلل كل عقبة»[٢٠].

وإن إقبال هو حكيم وفيلسوف، فيدعو إلى أخذ الحكمة حيثما وُجدت، فيقول في الحكمة مستقيًا هذه الفكرة من القرآن الكريم:

«قال ربي إنها الخير الكثير

إن تجده فاغتنم يا بصيرُ»[٢١]

ففي الشطر الأول يتناص الشاعر مع قوله -عزّوجلّ- ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَّشَاءُ، وَمَن يُّؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوْتِيَ خَيْرًا كَثِيْرًا﴾[٢٢]، فيرى إقبال أنه لاحرج في تعلم العلوم الحديثة والفلسفات الجديدة الغربية؛ ولكن يجب أن يكون هذا كالمتيقظ واليقظ الذي يغوص في البحر فيلتقط الدررويترك الأصداف، فلا يقف عند المظاهر البرّاقة من الثقافة الأوروبية لينخدع بها.

والشاعرإقبال له فكرة ونظرة خاصة تُعرَف بـ«الإنسان الكامل أوالنيابة الإلٰهية أوخليفة الله في أرضه»، ويعتقد أن هذه المنزلة هي أعلى وأرقى منزلة من منازل الرقي الإنساني، ويمكن لكل مؤمن أن يرتقي إلى هذه المنزلة باتباع القرآن الكريم والرسول(ﷺ) وحبهما، فيقول مستلهمًا نظرته هذه من القرآن الكريم في قصيدته «الذات تستحكم بالمحبة والعشق»:

«قَوِّينْ بالعشق في سلطانه

وابتغِ الجلوةَ في فارانه

تظهرنْ بالقرب يا ذا السائل

وتكن تفسير «إني جاعل»»[٢٣]

ففي الشطر الثاني من البيت الثاني يوظف الشاعر قطعةً من آية القرآن الكريم ليقدم فكرته، وهي ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰئِكَةِ إِنِّيْ جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيْفَةً﴾[٢٤]، فيدعو إقبال المسلمين إلى اتباع القرآن الكريم ليصلوا إلى درجة الإنسان الكامل، و«يقارن إقبال بين إنسانه الكامل وبين المفهوم القرآني للإنسان (خليفة الله في أرضه)، ويرى أن كون الإنسان خليفة الله في الأرض أرقى درجات الرقي الإنساني، والنبي -ﷺ- وإنه ﴿لَعَلٰى خُلُقٍ عَظِيْمٍ﴾ كما ورد في القرآن الكريم، هو أفضل مثال على هذا الخليفة، ويستطيع كل مؤمن باتباع القرآن الكريم أن يصل إلى هذه المرتبة، ويتبنى إقبال فضائل الرسول

-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ليزيّن بها نموذجه في (الإنسان الكامل)»[٢٥].

ويرى إقبال أن الوطن أوالحدود الجغرافية ليست أساس الأمة المسلمة؛ بل الأساس هو الدين، فالإسلام لايعرف الحدود ولا الثغور، فالمسلمون في جميع العالم أمة واحدة، وإن الوطنية والقومية قد أضرت بوحدة المسلمين، فيقدم هذه الفكرة في قصيدته «الوطن ليس أساس الأمة» فيقول:

«قطّعوا الأرحام بين الإخوةِ

صيّروا الأوطان أسّ الأمةِ

قدّسوا الأوطان إعجابًا بها

قسّموا الإنسان أسرابًا بها

طلبوا الجنة في «بئس القرار»

فأحلّوا قومهم دار البوار»[٢٦]

ففي البيت الثالث يتناص الشاعر للاستدلال على فكرته مع الآية القرآنية ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِيْنَ بَدَّلُوْا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا وَّأَحَلُّوْا قَوْمَهُمْ دَارَالْبَوَارِ، جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارِ»[٢٧]، فيعتقد إقبال «أن الأمة المحمدية قائمة على التوحيد والرسالة، فلايحدها مكان، وأن الوطن ليس أساس الأمة... وأن العصبيات الوطنية قطعت أرحام الأمم»[٢٨].

ويمضي الدكتور إقبال فيقدّم هذه الفكرة في قصيدته الأخرى «الرسالة»، ويبين فيها «أن الرسالة تجمع أشتات الأفراد، وتنظم منها الأمة، فتوحّدُ كثرتها، وتحكم ألفتها، ويقول: إن المسلمين من الرسالة في دائرة مركزها الحرم، ومحيطها غيرمحدود، ويبين كيف يربط الكتاب الحكيم بعض المسلمين ببعض»[٢٩]، فيقول:

«نحن مما جمّعتنا أمة

أُرسلت للناس فيها الرحمة

موجنا في بحرها متصل

موجة من موجة لا تُفصل

وحّد المرسلُ فينا النغما

والطوايا والمُنى والألما

كثرة الأُلاف عين الوحدة

ومن الوحدة نشء الأمة»[٣٠]

ثم يتناول نفس هذه الفكرة في قصيدته «الأمة الإسلامية مؤسسة على التوحيد فلاتحدها الأمكنة» فيقول:

«هجرةٌ شرع حياة المسلم

هجرةٌ سرُّ ثبات المسلم

إنها التِسيار نحو الوسعة

ولأجل اليمّ ترك القطرة[٣١]

فيستلهم معنى هذين البيتين من آية القرآن الكريم: ﴿إِنَّ الَّذِيْنَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلٰئِكَةُ ظَالِمِيْ أَنْفُسِهِمْ قَالُوْا فِيْمَ كُنْتُمْ قَالُوْا كُنَّا مُسْتَضْعَفِيْنَ فِي الْأَرْضِ، قَالُوْا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوْا فِيْهَا﴾[٣٢]، ومعنى هذه الآية أن الذين لم يهاجروا من أرضهم ووطنهم بعد ما وجبت عليهم الهجرة بسبب تعسر أداء الواجب والعمل بالدين والشريعة في بلادهم، إلى الأمكنة التي يتيسرلهم فيها العمل بالدين والشرع، وأداء الواجب، فمأواهم جهنم، فيستخدم إقبال هذا المفهوم لإثبات فكرته (الوطن ليس أساس الأمة).

ملخص القول

وبعد رحلة غير قصيرة في دراسة شعر محمد إقبال، وجده الباحث متأثرًا بالقرآن الكريم جدًا، وقد ظهر ذلك جليًّا وواضحًا عند دراستي لشعره لإبراز نماذج التناص القرآني والأمثلة المستقاة والمستلهمة من القرآن الكريم، الذي رفد شعره

بفكرة عميقة ورؤية جديدة، فهذا من جانب، زاد شعره قوة وروعة وجمالًا، ومن جانب آخر، يدل على مقدرة إقبال الكبيرة على التعامل مع الآيات القرآنية والتناص معها وتوظيفها في شعره بما يخدم الأغراض التي قصدها الشاعر بها، كما لاحظنا أن الدكتور إقبال قد زوّد العقل البشري والفكر الإنساني بزاد من الفكر والرؤية والأمل والعمل، فهو شاعر الطموح والأمل والعمل دون اليأس والقنوط والتشاؤم، فيرى أن الإسلام هو دين العمل الدائب والجهد المتواصل دون الجمود والكسل والانكسار؛ فلذلك يفيض كلامه بالحقائق الإسلامية والتجليات القرآنية، ولقد هدى الشباب المسلم سواء السبيل، وفي شعره الرسالة التي بصّرت المسلمين بحقيقة الإسلام وعظمته، وأيقظت الجيل الجديد الغافل النائم، وملأت قلوبهم بحب الله وقرآنه ورسوله -ﷺ-. وأما سبب تناص إقبال مع الآيات القرآنية أواستلهام أفكاره ومعانيه الشعرية من القرآن الكريم بهذه الكثرة، فيرجع ذلك إلى أمرين: أولهما: الثورة على الإسلام غير المنزَّل من الله تعالى، وثانيهما: احتجاج دائم على فِتن الحضارة الغربية.

* * *

الهوامش:

(١) عزّام، الدكتور عبد الوهاب، محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة،(٢٠١٢م)، ص:١١، القاهرة، مصر.
(٢) الندوي، الأستاذ السيد أبو الحسن علي الحسني، روائع إقبال، (٢٠٠٤م)، المجمع الإسلامي العلمي، ص:١٣، لكناؤ، الهند.
(٣) القريشي، الدكتور أكبر حسين، تلميحات وإشارات إقبال، أكاديمية إقبال الباكستانية، ص:٣-٤، لاهور، باكستان.
(٤) الكيلاني، الدكتور نجيب، إقبال الشاعر الثائر، ط١،(٢٠١٥م)، دارالصحوة للنشر والتوزيع، ص:١٣، القاهرة، مصر.
(٥) المرجع نفسه، ص:٢١.
(٦) الندوي، الأستاذ السيد أبو الحسن علي الحسني، شاعرالإسلام الدكتور محمد إقبال، مطبعة دارالكتاب العربي، (١٩٥١م)، ص:٣١، القاهرة، مصر.
(٧) الأستاذ الندوي، روائع إقبال، ص:٢٠٩.
(٨) هذا ما استمع إليه الباحث خلال تلقي الدرس عليه بالجامعة الإسلامية دارالعلوم/ ديوبند، الهند، (٢٠٠٧م).
(٩) عزام، محمد، النص الغائب: تجليات التناص في الشعر العربي – دراسة –، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ص:٤٢، دمشق.
(١٠) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، ج٧، دار صادر، ص: ٩٧، بيروت.
(١١) عزام، النص الغائب، ص:٢٩.
(١٢) الزعبي، أحمد، التناص نظريًا تطبيقيًا، ط٢، عمون للنشر، ص:١١، عَمّان، الأردن.
(١٣) عزّام، محمد إقبال: سيرته وفلسفته وشعره، ص:١٦٢.
(١٤) إقبال، ديوانه، إعداد: السيد عبد الماجد الغوري، الجزء الثاني، ط٣، (٢٠٠٧م)، ترجمة: الدكتور حسين مجيب المصري، دارابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، ص:١٤٠، (دمشق- بيروت).
(١٥) سورة «لقمان»، الآية: ٢٠.
(١٦) عزّام، محمد إقبال: سيرته وفلسفته وشعره، ص: ١٠٨.
(١٧) نفس المرجع، ص:٨٢.
(١٨) إقبال، ديوانه، إعداد: الغوري، الجزء الأول، ترجمة: الدكتور عبد الوهاب عزّام، ص:١٩٧.
(١٩) سورة «الزمر»، الآية: ٥٣.
(٢٠) عزّام، محمد إقبال: سيرته وفلسفته وشعره، ص: ١٠٠.
(٢١) إقبال، ديوانه، إعداد: الغوري، الجزء الثاني، ترجمة: الدكتور حسين مجيب المصري، ص: ٢٠٩.
(٢٢) سورة «البقرة»، الآية :٢٦٩.
(٢٣) إقبال، ديوانه، إعداد: الغوري، الجزء الأول، (أسرارالذات)، ترجمة: الدكتور عبد الوهاب عزّام، ص: ١٤١.
(٢٤) سورة «البقرة»، الآية: ٣٠.
(٢٥) إقبال، ديوانه، إعداد: الغوري، الجزء الأول، ص: ٧٢- ٧٣.
(٢٦) نفس المصدر، ص: ٢١٠.
(٢٧) سورة «إبراهيم»، الآية: ٢٨- ٩٢.
(٢٨) إقبال، ديوانه، إعداد: الغوري، الجزء الأول، (أسرار نفي الذات)، ص:١٨٤.
(٢٩) عزّام، محمد إقبال: سيرته وفلسفته وشعره، ص:١٠١.
(٣٠) إقبال، ديوانه، إعداد: الغوري، الجزء الأول، (أسرار نفي الذات)، ترجمة: عزّام، ص: ٢٠٢-٢٠٣.
(٣١) نفس المصدر، ص:٢٠٩.
(٣٢) سورة «النساء»، الآية:٩٧.

* * *

تكريم الإســلام للمــرأة

إعداد: **د. عادل بن إبراهيم بن محمد رفاعي**(*)

لقد اختار الله الجنس البشري ليسود على هذه البسيطة، وأعطاه من المقومات العقلية – خاصةً – ما يؤهله للقيام بهذا الدور العظيم، ثم إنه بعد ذلك أرسل إليه الرسل ليبينوا لهم طريق الهداية والصواب، فمن استفاد من عقله باتباع الرسل والإيمان بهم كان له خير عيش الدنيا والآخرة، ومن سلك غير ذلك فليس له إلا لوم نفسه الأمارة بالسوء.

وقد نص الله سبحانه وتعالى على تكريمه لهذا الجنس البشري بقوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيْ آدَمَ...﴾[(١)]، وهذا التكريم ليس خاصًا بالذكور من البشر؛ بل هو شامل وعام لكل من يدخل تحت تسمية (بني آدم)، ولا شك أن النساء من بني آدم؛ بل إنهن يساوين الذكور في هذا الشأن، فلا يَفْضُلُ الرجالُ النساءَ في هذا التكريم؛ بل هم فيه سواء.

وقد ذكر الله سبحانه عباده بهذه المسألة، وبين لهم أن المرأة هي أحد أَصْلَي البشرية، الذكر والأنثى (آدم وحواء)، فقال تعالى: ﴿يأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾[(٢)].

كما أن نبينا محمدًا ﷺ نبَّه على مبدأ المساواة هذا فقال: «النساء شقائق الرجال»[(٣)].

وليس المقصود بهذه المساواة أن المرأة كالرجل، فلها من الحقوق مثل ما له، وعليها من الواجبات مثل ما عليه!.

كلا ...

إنما المراد أن للنساء شرفًا أثبته هذا الدين العظيم لهن، يساوين فيه الرجال، فهي عند أهل الإسلام: شريفة، كريمة، معظمة، موقرة، محبوبة؛ ما دامت في إطار هذا الدين، ولم تخرج عن منظوره ومبادئه.

في شريعته عليه الصلاة والسلام وضعت الأمور في نصابها، فلا حق إلا ما قررته الشريعة الإسلامية الغراء إلى قيام الساعة، فنالت المرأة في جملة ذلك أعظم قدر وأسمى وأجل منْزلة، حيث حظيت بالرعاية والعناية ما يعلي قدرها ويحفظ مكانتها: أُمًّا محبوبةً موقَّرة، وزوجةً مصونةً معزَّزةً، وأختًا وبنتًا مرعيةً مُكَرَّمة، ودلائل ذلك من نصوص الوحيين مستفيضة ومعلومة لا يتسع المقام لإيرادها.

بل إن الإسلام قد زاد المرأة شرفًا واهتمامًا لم يُولِه للرجل، عندما أعطى الأوامر التي تحفظ للمرأة مكانتها وشرفها وحقها وقدرها، ولعل ذلك يرجع إلى القوة البدنية والعقلية التي يملكها الرجل، والتي قد يُظَنُّ منها أن يظلم القويُّ الضعيفَ إن لم يتقيد

(*) عضو هيئة التدريس والأستاذ المساعد، بكلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

بحدود الشرع وضوابطه.

وصور تشريف المرأة وتكريمها في هذا الدين كثيرةٌ جدًا، نذكر منها:

أ. تشريفها دينيًا: بتحميلها التكاليف والمسؤوليات

إن الله سبحانه لم يكلف الحيوانات ولا الجمادات؛ لأنها بدون عقلٍ تستطيع به أن تتحمل التكاليف، وهذا يدل بالضرورة على أن من كُلِّف شرعًا فإنه صاحب عقل يستطيع به أن يتحمل المسؤوليات المناطة به.

والشارع عندما ألزم المرأة واجبات كثيرة – سواء تلك الواجبات التي تشترك فيها مع الرجل، أوالتي تختص بها – إنما أَلْمَح إلى أهليتها العقلية والبدنية والخَلْقية لتحمل هذه التكاليف والمسؤوليات، ولو أن الشارع رأى أن المرأة لا قيمة لها ولا قدر، لما كلفها بهذه التكاليف، وكما يقال: فإن التكليف على قدر التشريف[٤].

وإن أكبر المظاهر التي تدل على تشريف الإسلام للمرأة: مبايعة النبي لهن، وقد ذُكرت هذه المبايعة في كتاب الله العزيز، فقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءكَ الْمُؤْمِنَتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٥].

ب. تشريفها ماليًا: بحثّ الرجال على إعالتها

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو»، وضم أصابعه[٦].

لقد حث الإسلام الرجال على إعالة النساء، سواء كنَّ بنات أو زوجات أو أمهات أو أخوات، أو حتى بعيدات.

فهذا الحديث السابق يبين عظم أجر من تكفل بإعالة جاريتين حتى تبلغا، ولم يحدد من هم الجاريتين، هل هم ممن يجب إعالتهن؟ أو ممن لا يجب إعالتهن؟، ولعل ذلك لأجل تعميم هذا المبدأ، وأن كل من أعال جاريتين كان له هذا الأجر العظيم.

ولا شك أن حثّ الرجال على إعالة النساء فيه تكريم وتشريف للمرأة؛ لأنها يصعب عليها الخروج من منْزلها في الغالب، ومغالبة الرجال في البيع والشراء؛ لأنهن لم يُخلَقن لهذا، وكما هو الملاحظ – حتى في الدول الغربية والشرقية التي تبيح للمرأة العمل مطلقًا فإن غالبية التجارات الكبرى والمهمة إنما هي في أيدي الرجال؛ لأنهم أقدر على هذا العمل.

فكان من المناسب للمرأة التي يصعب عليها مزاولة العمل أن تكون محفوظةً مصونة في بيتها، وهناك من يصرف عليها ويعولها، بدءًا من الصغر وحتى الكبر.

وهذا من تشريف الإسلام للمرأة وتكريمها[٧].

ج. تشريفها أخلاقيًّا: بتغليظ عقوبة الفاحشة، وتغليظ عقوبة القذف

إن شرف المرأة وسمعتها هو رأس مالها الذي لا تستطيع الاستغناء عنه، ولا يمكنها أن تعيش بدونه مرفوعة الرأس أبدًا؛ ومتى ما تلوثت سمعتها وشرفها نزلت إلى الحضيض، وأصبحت عارًا على أهلها ومجتمعها.

لأجل ذلك؛ حرص الإسلام على المحافظة على شرف المرأة وأخلاقها، وشرع التشريعات الكثيرة لأجل ذلك، وأبرز تلك التشريعات تكمن في نقطتين:

النقطة الأولى: تغليظ عقوبة الفاحشة: فإن المرأة قد يردعها خوفها من العار والشنار أن تفعل هذه الفعلة الشنيعة؛ ولكن الرجل لا يردعه إلا العقوبة المغلظة بعد الخوف من الله تعالى؛ ولذلك فإن العقوبة الكبيرة التي شرعها الشارع في الزنا هي في الدرجة الأولى لحماية أعراض النساء، فزرع الخوف والحياء الفطري في المرأة لتبتعد عن هذه الفاحشة، وغلظ العقوبة ليبتعد الرجل عن الفاحشة، كل هذا حفاظًا على كرامة المرأة وشرفها وسمعتها.

النقطة الثانية: تغليظ عقوبة القذف: لقد حرم الشارع قذف المحصنات من النساء والمحصنين من الرجال، وغلظ عقوبة القذف، وجعل القذف من الكبائر الشنيعة، تعظيمًا للأعراض وصيانتها.

ومن العجائب القرآنية في هذه النقطة أن القرآن لم ينص على شناعة جريمة قذف المؤمن؛ بل نص على شناعة هذه الجريمة في حق المرأة، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ...﴾[٨]، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٩].

ولعل ذلك لأن أعراض النساء أهم، ورميهن بالفاحشة أشنع وأغلظ[١٠].

د. تشريفها صحيًّا: بإباحة الفطر لها حال إرضاعها وحملها

صحة المرء هي رأس ماله، وتاج حياته، متى ما فقدها فقد معها المال، والأمن، والاطمئنان، وكثيرًا من الأمور.

والشرع عندما حمل المرأة المسؤوليات والتكاليف راعى ضعفها الطبيعي، فشرع لها من الأمور التي تحفظ لها صحتها، خاصة مع اشتداد ضعفها.

ومن الأمور التي شرعها الشرع لأجل ذلك إباحة الفطر لها حال إرضاعها وحملها حسب الشروط التي يذكرها الفقهاء – تشريفًا لها وتكريمًا، لأن شدة تعب المرأة يفسد عليها جمالها، ويجعلها غير مرغوب فيها، وصحة المرأة وجمالها من أهم الأمور التي تحافظ بها على زواجها؛ لأجل ذلك شرع لها الشرع ما يجعلها تحافظ على صحتها، حال إرضاعها وحملها، تشريفًا لها وتكريمًا.

هـ. تشريفها أمنيًّا: باشتراط وجود المحرم حال السفر

إن المرأة عرضة لأطماع الذئاب البشرية الموجودة في كل مكان، خاصةً مع انتشار الفسوق والإجرام في هذا الزمان، وشيوع الإباحية الجنسية التي أسعرت وألهبت الشباب والرجال، وصار كثيرٌ منهم همه الأول كيف يشبع رغبته الجنسية.

ولا شك أن المرأة حال وجودها في منزلها وبين أهلها تكون أبعد ما تكون عن العيون والأطماع، ولكنها في حال سفرها وترحالها تكون أضعف ما تكون، فلا بيت يسترها عن أعين الناس حال نومها، وقضائها لحاجتها، وأدائها لصلاتها، وتناولها لطعامها، فهي عرضة للتكشف والتبذل.

ولأجل ذلك كان من تشريف المرأة وتكريمها أن منعت من السفر، والترحال إلا مع المحرم الذي

يصونها ويحفظها، لئلا تكون فريسة سهلة لمن لا يخاف الله رب العالمين.

وتكريم الإسلام للمرأة لا يقتصر على هذه الأمور فقط؛ بل إن الأمر أوسع من ذلك وأشمل.

فائدة هذا التشريف والتكريم: أن في تشريف المرأة وتكريمها صيانة لها من الانحراف السلوكي والأخلاقي؛ لأنها إذا أحست بأهميتها في المجتمع واحترام الناس لها فإنها ستحاول جاهدةً عدم الانزلاق في أي مسلك يؤدي إلى إهانتها ونظر المجتمع إليها نظرة سيئة.

كما أن تشريف المرأة وتكريمها فيه حفاظ على العلاقات الزوجية، فقد اكتشف علماء الاجتماع أن علاقة الزواج تتجه نحو الاستقرار كلما زاد احترام الرجال للنساء؛ ففي شانغهاي انخفضت نسبة الطلاق تماشيًا مع تعاظم مكانة المرأة الشانغهائية باستمرار في المجتمع، فقد انخفضت نسبة الطلاق في شانغهاي لسنتين متتاليتين بعد أن كانت ترتفع باستمرار لسنين عديدة، إذ بلغت هذه النسبة ٤,٧٣٪ في عام ٢٠٠٢ بانخفاض ٠,٠٠٧ نقطة مئوية قياسًا إلى عام ٢٠٠١م[١١].

ولعنا نختم هذا الكلام بحديث النبي ﷺ والذي يقول فيه: «استوصوا بالنساء خيرًا»[١٢]، ففيه كفاية لمن ألقى السمع وهو شهيد، وفيه دليل واضح على عظم مكانة المرأة في الإسلام، فالذي أوصى بهذه الوصية هو خير الخلق أجمعين، والذي أُوصِي بهذه الوصية هو جنس الرجال عامة، واللاتي أُوصِيَ بهن هن جنس النساء عامة، والشيء الذي أُوصِي به هوالخير، والخير عامٌ وشامل.

فعلى الرجال جميعًا، أن يعملوا كل ما فيه خيرٌ، لجميع النساء.

هذه الوصية النبوية، فلتفخرن أيتها النساء بتلك الوصية.

* * *

الهوامش:

(١) الإسراء: ٧٠.

(٢) النساء: ١.

(٣) رواه أبوداود في سننه (ح٢٣٦)، والترمذي في سننه (ح١١٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (ح١٩٨٣).

(٤) في ظلال القرآن ٧٦٢/٢.

(٥) الممتحنة: ١٢.

(٦) صحيح مسلم (ح٢٦٣١).

(٧) حقوق المرأة وواجباتها (ص١٩٧).

(٨) النور: ٤.

(٩) النور: ٢٣.

(١٠) تفسير القرطبي ٤٥٦/٥.

(١١) موقع صحيفة الشعب اليومية على الخط ٢٠٠٣/١١/٢٦.

(١٢) صحيح البخاري (ح٤٨٩٠).

* * *

بيان الملكية

اسم المطبوعة	:	الداعي
الدورة النشرية	:	شهرية
الطابع والناشر	:	(مولانا) أبوالقاسم النعماني
الجنسية	:	هندي
العنوان	:	دارالعلوم ، ديوبند ، يوبي
رئيس التحرير	:	نور عالم خليل الأميني
مالك المطبوعة	:	دارالعلوم ديوبند

أصادق على أن التفاصيل المذكورة أعلاه صحيحة حسب علمي واطلاعي (توقيع)

(مولانا) أبوالقاسم النعماني

رزء الشيخ محمد أسرارالحق القاسمي ... بنيان قوم تهدما

١٣٦٠-١٤٤٠هـ/ ١٩٤٢-٢٠١٩م

بقلم: مساعد التحرير

قبيل أذان الجمعة من ٢٨/ ربيع الأول عام ١٤٤٠هـ الموافق ٧/ديسمبر عام ٢٠١٨م، خرجت من سكني بأفريقي منزل – سكن عائلات مشايخ الجامعة وأساتذتها- وعمدت إلى جامع رشيد العملاق بالجامعة لأداء صلاة الجمعة، فمررت ببوابة المدني إذ لفت نظري لوحةً من لوحات الإعلانات الطلابية، ففوجئت بمحتواها الذي يشير إلى أن الكاتب الإسلامي والعالم الرباني الشيخ محمد أسرارالحق رحمه الله قد انتقل إلى جوار ربه في الساعة الثالثة من فجر اليوم (يوم الجمعة ٢٨/ربيع الآخر ١٤٤٠م= ٧/ديسمبر عام ٢٠١٨م) عن عمر يقارب ٧٦ عامًا، فكدت أكذب عيني، فتوقفت لبرهة وأمعنت النظر في اللوحة و ماجاء فيها، فلما لم يعد لي شكٌ في الخبر نزل عليَّ ذلك النعي الفجائي نزول الصواعق، وإن كنت أعلم أن الدنيا كلها ليست إلا مجالًا لغراب البَيْن الناعق، وقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، وإن لله ما أخذ وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، لا معقب لحكمه ولا رادَّ لقضائه، اللّٰهم إنا نؤمن بقضائك ونحتسب عندك أجر الصبر على بلائك ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ﴾ (البقرة:١٥٥).

ويقول لبيد:

وما المال والأهلون إلا ودائع
ولا بد يومًا أن تردّ الودائع

لقد اضطربت لنعيه القلوب، ودمعت العيون، واسترجعت الألسنة، واتفق الناس على أن المصاب جلل، ووقعه على المسلمين والإسلام أشد وأعظم، فلاتسمع من القريب والغريب، والعالم والجاهل والبغيض والحبيب إلا كلمة (خسارة لا تعوض) أو كلمة (عوض الله الأمة به خيرًا) أو قول الشاعر:

وما كان قيسًا رزءه رزء واحد
ولكنه بنيان قوم تهدما

أو قول الآخر:

ولكن الرزية فَقْد حُرٍّ
يموت لموته خَلق كثير

فنسأل الله تعالى أن يحسن عزاءنا وعزاء الأمة فيه، ويوفقنا في مصابنا لما يحبه سبحانه ويرضيه.

ولم يكن الشيخ القاسمي يعاني مرضًا يخاف معه أنه سيفارق الناس إلى ربه عاجلًا؛ فقد كان نشيطًا يقوم بأعماله الروتينية كعادته في الأيام الأخيرة. وقبل وفاته بساعات خاطب تجمعًا

توجيهًا في رحاب مدرسة دارالعلوم الصفة التي وضع الشيخ أساسها قبل أعوام، ثم أوى إلى فراشه برهةً لينهض من نومه فتوضأ استعدادًا لقيام الليل، إذ أصيب بنوبة قلبية أدت إلى وفاته، وشهد جنازته والصلاة عليه عدد هائل من سكان المنطقة وغيرهم- لا سيما أفاضل القوم وشيوخ وعلماء المدارس والجامعات الدينية – في رحاب الجامعة الملية للبنات في «تعليم آباد» من «كشن غنج»، وثُوِّيَ جسده في مقبرتها. وخلف الشيخ وراءه ابنين وثلاث بنات.

كان فقيدنا-رحمه الله- دمث الأخلاق طيب القلب، لين الجانب، محبًا للخير.. كما كان من الدعاة إلى الله، وكان ينفق وقته وما له في سبيل دعوته وفضلاً عن هذا وذاك كان يشكل همزة الوصل بين الشعب والسلطات الإدارية الحكومية.

لقد هزّت وفاة الشيخ القاسمي الأوساط العلمية والسياسية والشعبية على مستوى البلاد؛ فإنها خسارة لاتعوض. وكثر العزاء عليه من قبل شرائح اجتماعية مختلفة في البلاد.

قال فضيلة الشيخ المفتي أبو القاسم النعماني – رئيس الجامعة: «كان القاسمي رحمه الله عالمًا دينيًا مخلصًا، وقياديًا سياسيًا وطنيًا محنكًا، وكاتبًا إسلاميًا قديرًا، و إداريًا ناجحًا على كل المستويات».

مولده ودراسته:

وُلِد رحمه الله عام ١٩٤٢م، في قرية «تبو تاراباري» من مديرية «كشن غنج» بولاية «بيهار» الهندية، و تلقى رحمه الله دراسته الابتدائية في مختلف المدارس في مسقط رأسه ومنطقته، وتربته، والتحق بدارالعلوم/ ديوبند وتخرج فيها عام ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

وفي أعقاب تخرجه من الجامعة ولي التدريس في المدرسة الرحيمية بـ«مدهي فوره»، ومدرسة بدرالإسلام بيكو سرائى، وهو يرى بأم عينيه ما يعيشه المسلمون من الأوضاع المزرية الرهيبة التي تتطلب العمل بجدية للرقي بمستواهم الاقتصادي والثقافي والعلمي، فأكبّ على الخدمات الاجتماعية الإسلامية بشوق كبير، بجانب شغله منصب التدريس في المدارس المختلفة واحدة تلو أخرى، ولم يكن على صلة بشيء من جمعيات الخدمات الاجتماعية الإسلامية آنذاك، و استمر على ذلك عشر سنوات حتى تبين أن الخدمة التدريسية قد لا تمكنه من الخدمة الاجتماعية على المستوى المطلوب وخاصة في الأوضاع التي كان يمر بها البلاد، فتخلى عن التدريس، ونذر نفسه للخدمة الاجتماعية وانضم إلى ركب أعرق الجمعيات الإسلامية الهندية الخيرية وهي جمعية علماء الهند، ومقرها في دهلي عاصمة الهند، وارتقى في مناصب عدة في الجمعية حتى شغل منصب الأمين العالم للجمعية اعتبارًا من عام ١٩٨١م حتى عام ١٩٩١م.

كان الشيخ القاسمي من الرموز الإسلامية السياسية التي تحظى بشعبيةٍ كاسحةٍ في جميع الشرائح الاجتماعية الهندية، فكانت خدماته السياسية موجّهة إلى كافة الفئات المغلوب على أمرها في الوسط الهندي، سواء ما يخصها اقتصاديًا أو تعليميًا أو اجتماعيًا، فقد عمل القاسمي رحمه الله في خفاء وتكتم شديدين لصالح هذه الفئات

الاجتماعيـة المنكوبـة المهظومـة الحقـوق، و لرفـع مستواها الحيـاتي، وتزيينهـا بـالعلم والثقافـة الدينيـة والعـصرية، وخاصـة كانـت مـساعيه مـصروفة إلى المناطق النائية التي لاتحظى بكثير من عناية المعنيين بأمرها، وحيث تتلاشى أنوار العلم و الحضارة. وما من شك أن تطوير المناطق الحظية بأنوار الثقافة أيسر بكثير من العمل على تطوير المناطق المتخلفة وبث النور والعلـم والحضارة في جنباتها. وهـذا ما جعـل النـاس في تلـك المنـاطق النائيـة لايخـاطبون فـضيلة الـشيخ القاسمي رحمه الله إلا بـ حضرتي وسيدي، بـدلًا مـن «سـيدي الـوزير» بعـد أن رُشِّـح لتمثيـل منطقتـه في البرلمـان الهنـدي، وظـل عـلى ذلـك قرابـة عشر سنوات. وكانت كثير من النساء يصمن لفوزه في الانتخابات العامة التي خاضها الشيخ القاسمي حبًا و احترامًـا لـه، و رغبـةً في ترشـيحه نائبًـا عـن الدائرة الانتخابية الخاصة بهن.

وقبـل أن يخـوض الـشيخ القاسـمي ميـدان السياسة كان قد استشعر بتخلف المسلمين السياسي والاقتـصادي والعلمـي، فـما لبـث أن أنـشأ المؤسـسة التعليمية الدينية لعموم الهند، مقرها «دهلي» عاصمة الهند، في أوضـاع حرجـة غـير مواتيـة عـلى الإطـلاق، وعملـت المؤسـسة ليـل نهـار عـلى رفـع المـستوى التعليمـي حتـى للفئـات الاجتماعيـة التـي لم تحـدث نفسها يومًا من الأيام بتلقي العلوم العادية فضلًا عن الدراسات العليا. واتسعت دائرة المؤسسة مع مـرور الأيـام لتـشمل المنـاطق النائيـة التـي تـشح فيـه النشاطات التعليمية العصرية الرسمية.

ولم يتخـلَّ الـشيخ القاسـمي عـن رسـالته التعليمية حتى بعد خوضه ميدان السياسة بصورة مكثفة.

وكـان الـشيخ القاسـمي يحمـل غـيرةً دينيـةً شديدةً، وبصيرةً بما يحاك من الدسائس والمؤامرات ضـد الإسـلام والمـسلمين لا عـلى مستوى الهند؛ بـل على المستوى العـالمي كـذلك، وكـان يقـف بالمرصـاد لكافـة الحركـات والتحركـات الـسياسية المناوئـة للإسـلام والمـسلمين، ففـي الوقـت الـذي وافـق المجلس التشريعي الهندي على مشروع قانون حظر الطلقات الثلاث، ولم يقف في وجهه حزب المؤتمر الهندي الذي كان ينتمي إليه الشيخ، وانتخب عضوًا للبرلمـان الهندي من قِبله، هدّد الشيخ قيادة الحزب بأنه لا يأبه بالاستقالة من عضوية الحزب فيما إذا لم يقـف الحـزب في وجـه تمريـر المـشروع في مجلـس الشيوخ الهندي ليتحول قانونًا يجب على الناس كلهم الخـضوع لـه. وفعـلًا لم يـذهب تهديـده هـذا مهـبَّ الريح؛ فقد قرر الحزب معارضةَ مشروع القانون في مجلس الشيوخ، الذي يسيطر عليه الحزب- بكل ما أوتي من قوة، وبالتالي عجز الحزب الحاكم عن تمرير المـشروع في المجلـس بمعارضـة شـديدة لقيهـا مـن حزب المؤتمر الهندي. وكان رحمه الله يقول الحق ولو كـان مـرًا، ولا يهـاب الحكـام والـسلطات الحكوميـة ولا يداريهم ولو كان يحكمها حزب غير حزبه الذي ينتمي إليه.

رثاء الأوساط العلمية والسياسية له:

تـشكل وفـاة الـشيخ القاسـمي كارثـةً علميـةً وسياسـيةً وخـسارةً لا تعـوض، وخلفـت فراغًـا قـد لايمكـن ملـؤه وثلمـةً لايمكـن سـدها، وكثـر رثـاء

الأوساط العلمية والسياسية على وفاته، نسوق فيما يلي بعض ما قالوه:

قال فضيلة الشيخ أبو القاسم النعماني – رئيس الجامعة الإسلامية دارالعلوم/ديوبند – في رسالة عزاء بعث بها: «لم أكد أصدق نعي وفاته برهة من الزمان، فقد كان الشيخ – إلى جانب علمه وكماله في هذا العصر الذي يشح فيه الرجال- عالمًا دينيًّا وكاتبًا قديرًا، و صحافيًّا يقظًا، وقائدًا دينيًّا وسياسيًّا شهيرًا، وشخصيةً تستهوي القلوب والأفئدة».

وقال الشيخ أرشد المدني حفظه الله وهو يعرب عن غاية أسفه وحزنه على وفاة الشيخ القاسمي: «وفاة الشيخ أسرار الحق خسارة فادحة للملة الإسلامية الهندية، وكان الشيخ يحظى بالشعبية الموسعة في كافة شرائح المجتمع الهندي نظرًا إلى سذاجته، وتواضعه وهضم ذاته، وحب خلق الله تعالى، وكان يجمع بين الكتابة الرصينة الدقيقة والخطابة القديرة. أسس الشيخ القاسمي عشرات من المؤسسات التعليمية الدينية تحت مظلة «المؤسسة التعليمية الدينية لعموم الهند».

وقال الشيخ المقرئ محمد عثمان حفظه الله وهو يعرب عن عميق قلقه على وفاته: «كان الشيخ إداريًا فذًا، وخطيبًا مفوهًا، وكاتبًا قديرًا، وفوق ذلك كله عطوفًا على خلق الله تعالى، ولاشك أن موته موت العالَم».

وقال الشيخ بدر الدين أجمل القاسمي – عضو البرلمان الهندي، وعضو المجلس الاستشاري لدارالعلوم/ديوبند، والرئيس العام لحزب الجبهة الوطنية الديموقراطية (u.d.f): «كان الشيخ رحمه الله من الشخصيات التي لايجود الدهر بمثلها إلا في قرون متطاولة، ويخلد ذكراها في قلوب الناس بما قامت من الأعمال الجليلة. كان الشيخ عالمًا دينيًا، تقيًا ورعًا، وخطيبًا مصقعًا، وكاتبًا قديرًا، وقياديًا سياسيًا لم يدنس عرضه، وقدوةً اجتماعيًا وشخصيةً مخلصةً دائبةً في خدمة العباد والبلاد. وكان له –بجانب بصيرته الدينية – بصر واطلاع واسع على القضايا التي تواجهها البلاد، يدركه كل من قرأ مقالاته وبحوثه أو استمع لخطباته القيمة، وكان حريصًا على إنشاء الكتاتيب الدينية، والمدارس والكليات ذات الصبغة الدينية والجو الإسلامي».

وقال الشيخ محمد ولي الرحماني – أمين عام هيئة الأحوال الشخصية لعموم المسلمين في الهند، وهو يعرب عن غاية أسفه على وفاته: «لقد اصطدمت شخصيًا بوفاته، فقد كان يربطني به علاقات و شيجة منذ زمن بعيد، قام الشيخ بخدمات عدة مشكورة من على منصات عدة، وكانت طينته معجونةً بالسذاجة».

وقال الشيخ خالد سيف الله الرحماني – الناطق بلسان هيئة الأحوال الشخصية لعموم المسلمين في الهند: «كان الشيخ القاسمي رحمه الله عالمًا راسخةً قدمُه في العلم، وخطيبًا محببًّا إلى القلوب، وكاتبًا قديرًا، وبصيرًا بطبيعة العصر ومزاجه، لقد خلَّف بصمةً واضحةً عميقةً بخدماته الدينية والعلمية الخالدة، و قام بخدمات جليلة من على منصة جميعة علماء الهند على مستوى البلاد، وكان عضوًا فاعلًا في هيئة الأحوال الشخصية لعموم المسلمين

في الهند، ومسؤولًا ورئيسًا بالنيابة للجمعية الوطنية لعموم الهند، وكان على صلة وطيدة ملؤها الإخلاص والنصح بمجمع الفقه الإسلامي الهندي. أنشأ المؤسسة التعليمية الدينية لعموم الهند بهدف تطوير المناطق الهندية الشمالية الشرقية على المستوى التعليمي والاقتصادي، وانبثقت منها عدة مؤسسات تعليمية، وكان حريصًا على إنشاء كلية الهندسة التابعة لهذه المؤسسة، وله جهود ملموسة في إنشاء فرع جامعة المسلمين بعلي كره في منطقة «كشن غنج» من ولاية «بيهار»، فكان نطاق خدماته وجهوده أوسع فأوسع».

وقال الشيخ أنيس الرحمن القاسمي – وهو يبدي قلقه الزائد على وفاته-: «كان الشيخ ذا ثقافات متنوعة، قضى حياته كلها في خدمة العباد والبلاد، واستفادت الأمة بمؤهلاته المختلفة، وكان على صلة وطيدة بمؤسسة «الإمارة الشرعية في «بيهار»، لايغيب عن اجتماعاتها وإسداء الآراء القيمة النافعة لها».

وأعرب رئيس الجمهورية الهندية: «راما ناث غوفندا» عن حزنه البالغ وقال: «نتقدم بواجب العزاء العميق على وفاة عضو البرلمان الهندي من قِبل حزب المؤتمر الهندي، والكاتب الإسلامي الشهير مولانا أسرار الحق القاسمي إلى أهله وذويه».

وقال رئيس الوزراء الهندي في تغريدته على وفاة الشيخ القاسمي: «لقد أصِبت بصدمة شديدة على وفاة الشيخ القاسمي، وأنا أشاطر أهله وذويه أحزانهم».

وقال المستر/راهول غاندي- رئيس حزب المؤتمر الوطني الهندي- وهو يعرب عن حزنه على وفاته في تغريدته: «لقد أصِبت بصدمة على وفاة عضو البرلمان الهندي من قِبل حزب المؤتمر الهندي في دائرة «كشن غنج»، الذي كان يحظى بشعبية واسعة».

وقال كبير وزراء ولاية «بيهار» الهندية: المستر/ ناتيش كومار: «عُرِف مولانا القاسمي بنشاطاته السياسية النزيهة وإخلاصه وأمانته، وسذاجته، وأضفت الخدماتُ الاجتماعية في منطقته عليه قبولًا وشعبيةً واسعةً، لعب دورًا بارزًا في إنشاء فرع جامعة المسلمين/ علي كره، في منطقة «كشن غنج».

كما أعلن «كومار» أداء مراسم دفنه بالبروتوكولات الرسمية.

وقال المستر/لالو براشاد – رئيس حزب «جاناتادال»، وكبير الوزراء بولاية «بيهار» سابقًا في رسالة عزائه: «لقد فقدنا قياديًا مؤهلًا وقديرًا».

وقال أيم كي فيضي – رئيس حزب (s.d.p.i)، وهو يعرب عن حزنه: «كان الشيخ القاسمي الذي تحول من شيخ ديني إلى رجل سياسي، عالمًا مرموقًا ساميًا، يحظى بالقبول والشعبية الواسعة، وكان يشكل بارقة أمل لملايين من المسلمين الذين يعانون التخلف في المجال العلمي والاقتصادي».

وقال الحزب الاجتماعي الديموقراطي لعموم الهند (s.d.p.i) وهو يعرب عن أسفه وحزنه على وفاة الشيخ القاسمي رحمه الله: «لقد فقدت البلادُ قياديًا كبيرًا، سعى سعيه لرفع المستوى التعليمي

للمسلمين، كان الشيخ عضوًا في البرلمان الهندي من حـزب المـؤتمر الهنـدي، وعـضوًا في لجنـة وزارة الداخلية».

وزار المستر/ماهينـدرا كومـار (D.M)، ونائبـه السيد/فيروز أختر (S.D.M) في المنطقة أهل الشيخ القاسمي بعد وفاته، وقال في كلمة عزائه: لقد فقدنا بوفـاة الـشيخ القاسـمي إنسانًا حسن الخلـق، أمينًـا. وكنـا نـشعر بالغبطـة والـسرور بالعمـل مـع الـشيخ القاسـمي؛ فإنـه لم يتعـود الـضغط أو التـشديد الزائـد على القيام بعمل من الأعمال؛ بل كان يأمرنا بلزوم جانب اللين والتـودد في النشاطات كلهـا، كـما كـان يقـول: لـو أنكـم خـدمتم الـضعفاء والمـساكين لكـان حـسنة تـؤجرون عليهـا. فكنـا نمتثـل أمـره بـرضى وطواعيـة ... و كـان الـشيخ القاسـمي يقابـل رؤسـاء الـشرطة المختلفـة بـالزجر والتـوبيخ والتنبيـه، وكـل ذلـك بأسـلوب يعلـوه الوقـار والأدب، ولايقـول لأحد قولًا ينال من مكانته الاجتماعية أو الوظيفية، فيخضع له الناس. وكان شديدًا في النكير على قبول الرشوة، ويحذر ضباط الحكومة من الارتشاء. وربما قدم إليه بعض الناس الهدايا عند تدشينه لمشروع من المـشاريع الحكوميـة فيأباهـا كـل الإبـاء. ولايقـوم بخدمة اجتماعية إلا يريد بها وجه الله ولايريد من النـاس جـزاءً ولا شـكورًا. وكـان يقـول: إن المـرء يطمئن قلبه وترتاح نفسه إذا قام بخدمة اجتماعية».

نشاطاته السياسية:

تمتـد خـدمات ونـشاطات الـشيخ القاسـمي السياسية على أربعة عقود من الزمان، دون أن تدنس الأقـذار الـسياسية ذيلـه، وهـو أمـر عزيـز المنـال في النشاطات السياسية في العصر الحاضر، وخاصة في الهنـد التـي أصـبحت الـسياسة مطيـةً ذلـولًا إلى نيـل المـآرب وتحقيـق الأغـراض وتجسيد المطامع، وجمع القنـاطير المقنطـرة مـن المـال، وإشـباع المعـدة. فمـن الحقـائق المـسلمة في خـصوص الـسياسة الحـاضرة أن الأمانـة والـدين، والمـروءة والإخـلاص والإنـصاف والديموقراطية قد تدنى مستواها في العقود الأخيرة بـشكل ملحـوظ، ولامقـام فيهـا إلا لمـن فقـد الأمانـة والإخـلاص، وبـاع ضـميره بحطـام الـدنيا الدنيئـة، وولـغ في الأعـمال الإجرامية، ورضي بالمساومة على مصالح الدولة والدين.

أعمـــال و مؤســـسات وضـــع الـــشيخ القاسـمي نواتها:

١- لـه نـشاطات واسـعة مـن عـلى منـصة جمعيـة علماء الهند ثم ولي منصب الأمين العام للجمعية.

٢- وضـع الـشيخ القاسـمي نـواة المؤسـسة التعليميـة الدينيـة لعمـوم الهنـد، التـي تهـدف إلى نـشر شبكة من الخدمات التعليمية والاجتماعية في المناطق المتخلفة من ولاية «بيهار».

٣- مدرسـة للبنـات سـماها «المدرسـة المليـة للبنـات» حيـث يتلقـى نحـو خمـس مئـة مـن الفتيـات المـسلمات البائـسات العـاجزات عـن دفـع الرسـوم التعليميـة الباهظـة التـي تطالـب بهـا عامـة المـدارس العصرية- الدراسةَ العصريةَ في جوّ ديني إسلامي.

٤- أنشا مئات من الكتاتيب الإسلامية في عدة مناطق من ولاية «بيهار» و «جهار خاندا»، و «بنغال الغربيـة»، و«أترابـراديش»، تـزود أطفـال المـسلمين بالدراسة الدينية الابتدائية.

٥- بجهـوده الحثيثـة أنـشئ فـرع «جامعـة المسلمين بعلي كره» في مدينة «كشن غنج»، على مساحة تبلغ نحو(٩١) هيكتور من الأرض.

٦- أنشأ كلية الزراعة.

٧- أنشأ كلية آئي تي (I.T. collage)

٨- أنشأ غير واحد من المدارس الثانوية التي توفر الدراسات العصرية بجانب الدراسة الدينية.

٩- أنشأ مالا يقل عن ثلاث مئة مسجد في مختلف المناطق المتخلفة اقتصاديًا وثقافيًا تشرف عليها المؤسسة التعليمية الدينية لعموم الهند.

مناصب شغلها الشيخ القاسمي

١- عضو المجلس الاستشاري للجامعة الإسلامية دارالعلوم/ديوبند منذ عام ٢٠١٨م.

٢- عضو نشيط في هيئة الأحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند.

٣- رئيس جمعية علماء الهند فرع ولاية «بيهار».

٤- أمين عام سابقًا لجمعية علماء الهند.

٥- انتخب عضوًا في البرلمان الهندي من دائرة «كشن غنج» مرتين: عام ٢٠٠٩م، وعام ٢٠١٤م، من حزب المؤتمر الهندي، علمًا بأن الحزب مُنِيَ بهزيمة نكراء في الانتخابات العامة عام ٢٠١٤م أمام فوز حزب «بي ج ب» الكاسح في طول البلاد وعرضها، ولكن الشيخ القاسمي استطاع – نظرًا إلى إخلاصه وتفانيه في خدمة الشعب الهندي بغضّ النظر عن انتمائه الديني والعرقي- استطاع الحفاظ على مقعده في البرلمان، فصان ماء وجه حزب المؤتمر الهندي في المنطقة.

٦- عضو في لجنة وزارة الداخلية.

٧- عضو في اللجنة البرلمانية.

الشيخ القاسمي كاتبًا قديرًا:

كان الشيخ القاسمي كاتبًا قديرًا، طرق في كتاباته كثيرًا من الموضوعات الحية الساخنة على الساحتين المحلية والدولية، ونشرتها مختلف الجرائد والصحف والمجلات الهندية في فترات شتى. وكانت كتاباته في موضوع السياسة عَلَمًا في رأسه نار يهتدي به السالكون في هذا المجال. وكتاباته كلها رصينة دقيقة بصيرة بعواقب الأمور، تحمل نكهةً أدبيةً ذكيةً، في أسلوب هين سهل ميسور فهمها واستيعابها، و إشارات قويةً دقيقةً إلى مراميها وأهدافها وأغراضها. و قد سعد كاتب هذه السطور بنقل كثير من مقالاته إلى اللغة العربية، ونشرها في صفحات من مجلة «الداعي» العربية، من أبرزها: «هجمات على الإسلام والمسلمين وسط عجزنا»، و«رد مشروع قانون يقرّه المجلس الإقليمي بكجرات خطوةٌ تستحق التقدير»، و«الأوضاع الحالية تؤشر إلى مستقبل خطير»، و«أما آن لهذا الصمت أن يُقطع»؟.

رحلاته وجولاته:

قام الشيخ القاسمي بزيارة علمية ودعوية وإصلاحية للدول التالية: البحرين، وبوتسفانا (Botswana)، والعراق، والمملكة العربية السعودية، وملاوي (Malawi)، وجنوب إفريقية، و الإمارات العربية المتحدة، وفيست إنديز (Westindies)، وزامبيا (Zambia).

* * *

قاضٍ في المحكمة العالية في مدينة «ميكاليه»: ليتهم أعلنوا الهند دولة هندوسية إبان تحريرها من أيدي الاستعمار

بقلم: **مساعد التحرير**

شيلانك (يو أين آئي)

قال القاضي/سديب رانجن سين– قاضٍ في المحكمة العالية بمدينة «ميكاليه» شرق البلاد: «ليتهم أعلنوا الهند دولةً هندوسيةً لدى تحريرها من الاستعمار». ونصح القاضي رئيس الوزراء الهندي، ووزير الداخلية، ووزير القانون وأعضاء البرلمان الهندي بأن يسنُّوا قانونًا يسمح للنازهين الهندوس والسيخ و الجين والبوذيين، والنصارى وما إلى ذلك – من باكستان وبنغلاديش وأفغانستان – يسمح لهم بالعيش في الهند، ويخول لهم الجنسية الهندية.

وأضاف القاضي/ سين وهو ينظر في قضية تخص إصدار شهادة السكنى في الهند– قائلًا: «كأني أفشل في القيام بواجبي المنوط بي فيما إذا لم أنظر إلى الهند الأصلية وتقسيمها إلى بلدين: الهند وباكستان».

وقال القاضي وهو يبدي ثقته برئيس الوزراء الهندي الحالي-: «إن حكومته ستتخذ إجراءات لازمة تعوق دون تحوّل الهند إلى دولةٍ إسلاميةٍ». وأعرب عن أمله في أن كبيرة الوزراء في ولاية «بنغال الغربية» ستؤيد ذلك في مصلحة البلاد».

وصرح القاضي «سين» بأنه لايعارض إخوته المسلمين وأخواته المسلمات ممن يعيشون على أرض الهند منذ أجيال، ويمتثلون أحكام البلاد. فإنه يجب أن يتركوا يسكنون فيها آمنين مطمئنين.

كما طالب القاضي/سين الحكومة الهندية بضرورة سنّ قانون موَحَّد يخضع له كافة شرائح البلاد. وقال: «حذارِ أن نعدّ الخارج على قانون البلاد أيًّا كان، من سكان البلاد».

(صحيفة «راشتريه سهارا» الأردية اليومية، دهلي الجديدة، ص١، السنة:١٩، العدد:٦٤٥٤٠، الجمعة ٦/ ربيع الآخر ١٤٤٠هـ الموافق ١٤/ديسمبر ٢٠١٨م).

* * *

هنس ديف آتشاريه: على الراغبين في المسجد البابري أن يغادروا البلاد. وعلى كل هندوسي أن ينجب خمسة أطفال

سري نغر(يو أين آئي)

قال هنس ديف آتشاريا – رئيس اللجنة المشكلة لبناء معبد الإله «راما» على أنقاض المسجد البابري المقوض قبل عقود–: «الذين يرغبون في المسجد البابري ما عليهم إلا أن يغادورا الهند».

وقال آتشاريه دون تصريح بولاية «جامون وكاشمير»–: «لن نسمح بأن يؤخذ بقانونين أو يرفع عَلَمان في هذه البلاد». وقال وهو يكيل المدح لحاكم ولاية جامون وكاشمير: «نأبى أن تحكم هذه الولاية حكومة تقف بجانب المقاتلين ضد سيادة الهند»، وذلك في إشارة إلى حزب «بي دي بي»، وحزب

المؤتمر الوطني، والاتحاد الموسع بقيادة حزب المؤتمر الهندي. وقال: «لقد أحسن حاكم الولاية إذ حال دون تشكيل حكومة تقف بجانب المقاتلين ضد البلاد، ويعد ذلك نصرًا مؤزرًا للهندوتفا. جاء ذلك في كلمة ألقاها «آتشاريا» في مجلس ديني عقده منظمة «فيشوا هندو بريشاد»، استطاع استقطاب عدد أكبر من الرهبان الهندوس وأتباع الديانة الهندوسية.

وقال «آتشاريه» وهو ينصح الهندوس: «على كل هندوسي أن ينجب خمسة أولاد.

واستطرد «آتشاريا» قائلًا: يتساءل الناس: متى يقام معبد الإله «راما»؟ ما الذي يعوق الحزب الحاكم في الحكومة المركزية دون بنائه؟ لقد خدعنا الحزب الحاكم، وخدعنا رهبان الهندوس؟ فأقول: إننا لانريد بناء معبد كمفحص قطاة، إننا نريد بناء معبد عملاق، منقطع النظير، وإن بناءه يتطلب نحت أحجار كثيرة جدًا، ولايتأتى ذلك في عشية وضحاها، إنه يستغرق وقتًا أكثر... وأقول لكم: إن معبد الإله «راما» سيقام – حتمًا- على أنقاض المسجد البابري، ولن يعاد بناء المسجد من جديد، والذين يرغبون في المسجد ما عليهم إلا أن يغادروا هذه البلاد. ولن ندع قانونين يطبَّقان في هذه البلاد، ولن ندع عَلمين يرفعان على أرض الهند».

(صحيفة «راشتريه سهارا» الأردية اليومية، دهلي الجديدة، ص٣، السنة: ١٩، العدد: ٦٤٥٤٤، الثلاثاء ١٠/ ربيع الآخر ١٤٤٠هـ الموافق ١٨/ديسمبر ٢٠١٨م).

* * *

ضحية جديدة للضرب على أيدي جموع حاشدة في مدنية "ألور"

شاب مسلم يتعرض للضرب المبرح بسبب نقل الأبقار

ألور(الوكالات)

تشهد مدينة «ألور» بولاية راجستهان الهندية – المعروفة بأحداث العنف والقتل على أيدي جموعٍ حاشدة مسعورة – حالة جديدة من الضرب المبرح لشاب مسلم ينقل الأبقار. تقول التفاصيل: إن الجموع الحاشدة المسعورة أوقفت شابًا مسلمًا ينقل الأبقار، وضربته ضربًا مبرحًا ثم ألقته في الغابة، وقامت الشرطة بنقل الجريح إلى المستشفى حيث يتلقى العلاج من جروح غائرة.

تفيد المصادر بأن المدعو/ صغير خان بن يونس من سكان مرزا فور (ألور) كان ينقل ست بقرات في «بك أب» له، وأوقفته جموع حاشدة مسعورة وهو يمرّ بقرية «بغيري خورد» التابعة لمركزشرطة «كشن غره»، بمديرية «ألور»، وضربته ضربًا مبرحًا، وقذفته في الغابة القريبة من مكان الحادث. وبلغت الشرطة ذلك فتوجهت إلى مكان الحادث، ونقلت الجريح إلى المستشفى المحلي، وتم نقله منه إلى مدينة «ألور»، حيث تم إدخاله إلى مستشفى «راجيف غاندي» ليتلقى العلاج.

وقامت الشرطة بإلقاء القبض على سيارة «بك أب» المتواجدة في مكان الحادث، وبها ست بقرات، وأودعتها «مأوى البقرات»، وأطلعت الشرطة أهل الجريح على الحادث، ولايزال البحث جارٍ في القضية.

(صحيفة «انقلاب» الأردية اليومية، دهلي الجديدة (ميروت)، ص١، السنة:٦، العدد: ٣٣٤، الاثنين ٢٣/ ربيع الآخر ١٤٤٠هـ الموافق ٣١/ديسمبر ٢٠١٨م).

قاضٍ في محكمة «سهارن فور» يزور الجامعة

بقلم: **مساعد التحرير**

زار القاضي/ راجيف شرما- قاضٍ في محكمة سهارن فور- الجامعة الإسلامية: دارالعلوم/ ديوبند في ٣/يناير عام ٢٠١٩م، وكان في استقباله لدى وصوله إلى دارالضيافة بالجامعة فضيلة الشيخ المفتي أبو القاسم النعماني – رئيس الجامعة-، وفضيلة الشيخ عبد الخالق المدارسي- وكيل الجامعة-. وقال فضيلة رئيس الجامعة الشيخ النعماني وهو يشرح أهداف وخدمات الجامعة -: إن الجامعة تقوم بنشر نور العلم في العالم كله، وسعت سعيها منذ أول يوم أسست لنشر ثقافة الأمن والتعايش السلمي والأخوة على أساس الإنسانية بجانب خدماتها في نشر العلم.

وأضاف فضيلة الشيخ النعماني قائلا: «قامت و تقوم دارالعلوم – بجانب نشر العلوم الدينية- بتعليم الناس حب الوطن والإنسانية والمروءة، وعليه يتقدم خريجوها إلى خدمة البلاد كلما دعت إليه الحاجة، ويشكلون جزءًا من رقيها وازدهارها».

وأعرب القاضي شرما – بعد أن اطلع على تفاصيل نشاطات الجامعة- عن فرحته الغامرة قائلًا: «يجب أن يهدف التعليم إلى تهذيب الإنسان وتثقيفه، وإن المجتمع الإنساني لايجني نفعًا من العلم أو المنهج التعليمي أو المؤسسات التعليمية التي لاتعمل على رقي الإنسان وتطويره، وإنما آثرت زيارة هذه الجامعة لما أعرف عنها أنها تقوم بتثقيف الإنسان وصنعه، والرقي بالإنسانية».

واستطرد قائلا: «لا بد أن نعرف الإله، فإن الدين حقًا هو معرفة الإله، ولا أعرف نفعا للدين أيًّا كان إذا لم أتصور ذلك».

وقال – بعد أن اطلع على المكتبة الجامعية التي تتضمن نوادر المخطوطات- : «هذا تراث عظيم يجب الحفاظ عليه بصورة أو أخرى، ولم أرَ في حياتي مكتبة تقليدية تضاهي هذه المكتبة العامرة. وليس المهم ماذا تدرِّسون وإنما المهم نتائج هذا التعليم والتوجيه ماهي؟ ويجب أن يكون المنهج التعليمي -قديمًا كان أو حديثًا – نافعًا يجلب إلى المجتمع الإنساني الخيرَ.

كما لم يَفُتْهُ أن ينوّه بنظام الجامعة التعليمي والإداري، وروح التنسيق والقِرى، التي تسري فيها سريان الدم في الشرايين. وقال: لقد فرحت جدًّا بزيارة هذه الجامعة بعد أن كنت أتمناها منذ زمن بعيد.

وحضر اللقاء كل من فضيلة الشيخ عبد الخالق المدارسي، والشيخ عبد الخالق السنبهلي وكيلي الجامعة بجانب عدد من موظفيها.

(صحيفة «ميراوطن» الأردية اليومية، دهلي الجديدة، ص٣، السنة:٣، العدد:٣٣٩، الأحد ٢٩/ربيع الآخر١٤٤٠هـ الموافق ٦/يناير ٢٠١٩م).

وفد من قساوسة النصارى يزور الجامعة

زار الجامعة الإسلامية دارالعلوم/ديوبند في

١٠/١٢/٢٠١٨م وفد من قساوسة النصارى مكون من أحد عشر نفرًا، يضم كلا من: الأب/جون باسكو- قيادي نصراني في المذهب الكاثوليكي النصراني- والأب نيكولس برلا- رئيس المدارس الدينية النصرانية والأمين العام لمؤتمر الباباوات الكاثوليك في الهند- و الأب ميكائيل، والأب كي جوهن، والدكتور/دنزائل فرنانديز، والدكتور/فسنت إيكا، والأخت أسنيها، و ببيتا وراني وغيرهم. وكان يقود الوفد إلى الجامعة السيد عارض محمد الحيدرآبادي، واجتمع الوفد بفضيلة الشيخ عبد الخالق السنبهلي – وكيل الجامعة- وأجرى الحوار معه، وأكد على ضرورة تكاتف الأقليات الهندية وتعاضدها بعضها لبعض، وأبدى الوفد رغبته في شهود صلاة الظهر، فشارك المصلين في جامع رشيد في صلاة الظهر جماعةً.

* * *

قاضٍ في مديرية «مظفر نغر» يزور الجامعة

زار الجامعة الإسلامية دارالعلوم/ديوبند المستر/منوج كومار مشرا – قاضٍ إضافي بمظفر نغر A.D.J – في ٣١/ديسمبر عام ٢٠١٨م – برفقة قرينته وأولاده والمحامي الشهير في المدينة السيد تحسين خان، وبدأ مشرا زيارته للجامعة بالتجول في مرافقها مرورًا بالأبنية القديمة والحديثة، من أبرزها جامع رشيد، و مسجد «تشته»، والمكتبة العملاقة قيد اللمسة الأخيرة، كما مرَّ على مختلف شعبها وأقسامها التعليمية و الإدراية، وانتهى به المطاف إلى دار الضيافة الجامعية حيث التقى فضيلة الشيخ أبو القاسم النعماني حفظه الله – رئيس الجامعة- ونائبه فضيلة الشيخ عبد الخالق المدراسي حفظه الله.

وعرَّف فضيلة الشيخ النعماني المستر/مشرا بدارالعلوم وتاريخها وخدماتها في تحرير البلاد من براثن الإنجليز، والدراسات التي توفرها لطلابها دون أن تتقاضى منهم رسومًا دراسيةً بجانب تقديم التسهيلات الدراسية اللازمة في مختلف المراحل التعليمية.

قال المستر/ مشرا: «كنت أتمنى زيارة هذه الجامعة العريقة منذ زمن غير يسير، وقد سعدت بها في مثل هذا اليوم، وأنا أجد بزيارة هذه المؤسسة التعليمية والاجتماع بفضيلة الشيخ النعماني وغيره من أهل العلم في رحاب الجامعة، والمرور بالمرافق الحيوية اللازمة لهذه المؤسسة، والجلوس معهم وسماع أحاديثهم الحلوة عن كثب- أجد طمانينةً وروحانيةً من نوع جديد».

وأضاف قائلًا: «أنا أنتمي إلى مديرية «غوركفور» شرقي ولاية أترابراديش، وكنت أسمع كثيرًا عن دارالعلوم فتتوق نفسي إلى زيارة ديوبند، وها أنا ظفرت بها اليوم، ولاشك أنه مبعث فخر لي. وهذه الطمانينة و الروحانية التي لمستها في رحاب الجامعة، والأوقات الذهبية التي قضيتها في جنباتها لن أنساها ما حييت».

وقال في حديثه للصحف بعد زيارة الجامعة: «من سعادة حظي أن أزور دارالعلوم/ديوبند وأرى جنباتها، وأطلع على التضحيات التي قدمها علماؤها في سبيل تحرير البلاد من براثن الاستعمار. وما بذله علماء ديوبند من الجهود الجبارة في سبيل الحرية يعز مثيلها في التاريخ، و يشكل جزءًا لايتجزأ من تاريخ هذه البلاد الشاسعة».

(صحيفة «انقلاب» الأردية اليومية، دهلي الجديدة (ميروت)، ص٣، السنة:٦ العدد:٣٣٤، الاثنين٢٣/ ربيع الآخر ١٤٤٠هـ الموافق٣١/ديسمبر ٢٠١٨م)

* * *

بقية «إشراقة» المنشورة على ص ٥٦

«وقوله: (فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً) أي صَرْعَىٰ هَلْكَىٰ كغُثَاءِ السيل. وهو الشيءُ الحقير التافه الهالك الذي لا يُنْتَفَع بشيء منه» (تفسير ابن كثير، ج٣، ص٢٥٥).

ونبويّةٌ، لأنه قد اسْتَخْدَمَ النبيُّ هذه الكلمةَ في وصف ضعف أمته وكونها تافهةً لا يُعْبَأُ بها، فقال فيما رواه ثوبان –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– مولى رسول الله –ﷺ–:

«يُوشِكُ الأممُ أن تَدَاعَىٰ عليكم من كل أفق كما تَدَاعَى الأَكَلَةُ إلى قَصْعَتِهَا» فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟. قال: بل أنتم يومئذ كثير؛ ولكنكم غُثَاءٌ كغُثَاء السيل، ولَيَنْزِعَنَّ اللهُ من صدور عدوّكم المهابةَ منكم، ولَيَقْذِفَنَّ اللهُ في قلوبكم الوَهْنَ – الضعفَ –». فقال قائل: يا رسول الله! وما الوَهْنُ؟. قال: حبُّ الدنيا وكراهيةُ». (أبوداود ٤٢٩٧، واللفظ له).

إن الحديث أَكَّدَ أن المسلمين لا يضرّهم غيرُهم، وإنما هم الذين يضرّون أنفسَهم ودينَهم، لتقصيرهم في العمل بالدين، وتنفيذ أحكامه على الحياة والمجتمع وعلى أنفسهم. إنك إذا نظرتَ اليوم إلى المسلمين بالجملة، وجدتَهم كأنهم لم يُخْرَجُوا لحماية الدين، وتعزيز أركانه، وإعلاء كلمته، وإيثاره على كل ما يهمهم من دنياهم. وإنما يَبْدُو كأنهم خُلِقُوا للاهتمام بالدنيا، وحُطَامها وزَخْرَفَتِها فقط؛ ولذلك صاروا كثرةً لا يُؤْبَهُ لها، ولا غَنَاءَ فيها، كالزَبَد يَكْثُرُ ولا يَحْمِل فائدة، فيُحْتَقَر ويُطْرَح ويُزَال وينجرف به السيلُ إلى حيث يشاء.

إن التديّنَ والتمسّكَ بكتاب الله وسنة رسوله والاهتمام بجانب الآخرة على حساب جانب الدنيا – لا العكس – هو الذي أعلى شأنَ الرعيل الأول من الأمة ومن بعدهم، فكانوا مرهوبي الجانب، مسموعي الكلمة، فسادوا وغلبوا، وسخروا الأممَ، ونصبوا رايةَ الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، وصارتِ الأممُ عبيدًا لهم وأذنابًا.

لقد شَهِدَ التاريخُ الإسلاميّ أن المسلمين إنما عَزُّوا دائمًا بالتمسّك بالدين، والعمل بالإسلام بحذافيره، ولم يَذِلُّو إلّا عندما هَمَّشُوه أو تَخَلَّوا عنه، فبقدر تهميشهم له ذهبت ريحُهم، وخُضِدَتْ شوكتُهم، وفُلَّ حدَّهم، وجُعِلُوا على الهامش.

وإلى هذا المعنى يشيرُ حديثُ النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أي أن الاعتبار ليس بالكثرة الكاثرة من المسلمين الضعفاء في العمل، والوعي الإسلامي، والغيرة الدينية، والحرص على الجهاد، وإنما العبرةُ بالإيمان الصادق والعمل الصادق الذي إذا تَحَلَّى به المسلمون، فهم كثيرون مع القلة، مهيبون مع ضآلة الأسلحة والعتاد.

وقد وَرَدَ في الروايات أن سيدنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– كتب إلى سيدنا سعد بن أبي وقاص –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– ومن معه من الأجناد – كما ذكره ابن عبد ربّه الأندلسي (أبو عمر أحمد بن محمد

بن عبد ربّه بن حبيب بن حيدر بن سالم مولى هشام بـن عبـد الملك بـن مروان: ٢٤٦-٣٢٨هـ = ٨٦٠-٩٤٠م) في كتابه: «العقد الفريد» ج١، ص١١٧»:

«أما بعدُ: فإني آمُرُك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال؛ فإن تقوى الله أفضلُ العُدَّة على العدوّ، وأقوى المكيدة في الحرب. وآمرك ومن معك أن تكونوا أشدَّ احتراسًا من المعاصي، منكم من عدوّكم؛ فإن ذنوب الجيش أَخْوَفُ عليهم من عدوّهم، وإنما يُنْصَر المسلمون بمعصية عدوّهم لله. ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة؛ لأن عددنا ليس كعددهم، ولا عُدَّتنا كعُدَّتهم؛ فإذا استوينا في المعصية، كان لهم الفضلُ علينا في القوة، وإلّا نُنْصر عليهم بفضلنا، لم نغلبهم بقوة.

«واعلموا أن عليكم في مسيركم حَفَظَةً من الله، يعلمون ما تفعلون؛ فاستحْيُوا منهم، ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله، ولا تقولوا: إن عدوّنا شرٌّ منا فلن يُسَلَّطَ علينا وإن أَسَأْنا، فربّ قوم سُلِّطَ عليهم شرٌّ منهم، كما سُلِّط على بني إسرائيل، لما عملوا بمساخط الله، كفارُ المجوس، فجاسوا خلال الديار، وكان وعدًا مفعولاً. اِسْأَلوا اللهَ العونَ على أنفسكم، كما تسألونه النصرَ على عدوّكم، أسأل اللهَ ذلك لنا ولكم».

وقد ذكر المروزي (أبو عبد الله محمد بن نصر بن حجاج المروزي: ٢٠٢-٢٩٤هـ = ٨١٧-٩٠٧م) حديثًا عن يزيد بن مَرْثَد، قال: قال رسول الله -ﷺ- «كلُّ رجل من المسلمين على ثغرة من ثغر الإسلام، اللهَ لا يُؤْتَى الإسلامُ من قبلك» (السنة للمروزي، ط: مؤسسة الكتب الثقافية، ١/١٣).

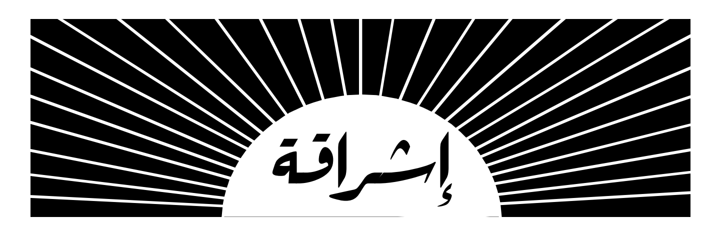
على كل حال فالمسلمون إنما صاروا اليوم إلى الانشغال بالملذات، فهانوا على الأعداء، كما يهون الغثاءُ على السيل الذي يندفع إلى الأمام جارفًا له، ولا يكون بوُسْع الغثاء أن يصمد أمامه، وكل الذي يكون بوسعه مُجَرَّدُ الانقياد والاندفاع معه.

«ولن يُصْلَح آخرُ هذه الأمة إلّا بما أُصْلِحَ به أَوَّلُها» كما قال الإمام مالك (أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي الحميري المدني ٩٣-١٧٩هـ = ٧١١-٧٩٥م) (انظر: «الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض المالكي رحمه الله، ٢/٨٧-٨٨).

وذكرها الشاطبي (إبراهيم بن موسى بن محمد أبو إسحاق اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي: القرن ١٤ الميلادي الموافق للقرن التاسع الهجري المتوفى ٧٩٠هـ الموافق ١٣٨٨م) بلفظ: «لن يأتي آخرُ هذه الأمة بأَهْدَىٰ مما كان عليه أوَّلها» (الاعتصام للشاطبي ١/٢٦٣، ط: دار ابن عفان، السعودية).

اللّهم أَعِزَّنا بالإسلام، وأَسْعِدْنا بتقواك واتباع أوامرك ونواهيك، ولا تُشْقِنا بمعصيتك.

(تحريرًا في الساعة الثامنة والنصف من الليلة المتخللة بين الخميس والجمعة: ١٠/جمادى الأولى ١٤٤٠هـ الموافق ١٧/يناير ٢٠١٩م).



الغُثَائِيَّةُ التي تَتَعَرَّض لها الأُمَّةُ

الغثائيةُ – كما يقول العلماء – صفةٌ عربية قرآنية نبوية. **عربيّـةٌ** لأنها كلمة عربية أصيلة، قال ابن فارس (أبوالحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي اللغوي الإمام في اللغة والأدب: ٣٢٩-٣٩٥هـ = ٩٤٠-١٠٠٤م) في كتابه «مقاييس اللغة» وهو يشرح الكلمة لغويًّا ويُرْجِعها إلى أصلها، ويدلّ على أصل معناها: «غثي»: الغين والثاء والحرف المعتلّ: كلمة تدلّ على ارتفاع شيء دَنِيءٍ فوق شيء. ومن ذلك «الغُثَاءُ»: غُثَاءُ السيل. يقال لسَفِلَة الناس: الغُثَاءُ. وقال صاحب «لسان العرب» (ابن منظور الأنصاري محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين المعروف بابن منظور الأنصاري: ٦٣٠-٧١١هـ = ١٢٣٢-١٣١١م): «غثا» الغُثَاءُ بالضم والمدّ: ما يحمله السيل من القَمَش. وكذلك الغُثَّاءُ بالتشديد. وهو أيضًا: الزَّبَدُ والقَذَر.

وقال الزَّجَّاج (أبو إسحاق الزجاج إبراهيم بن محمد بن السري بن سهل المعروف بالزجاج البغدادي: ٢٤١-٣١١هـ = ٨٥٥-٩٢٣م) «الغُثَاءُ»: الهالك البالي من ورق الشجر الذي إذا خَرَجَ السيلُ رأيتَه مُخَالِطًا زَبَدَه، والجمعُ: «الأَغْثَاءُ». وفي حديث القيامة: «كما تنبتُ الحِبَّةُ في غُثَاء السيل» (مسند أحمد ١٢٤٦٩). قال: الغُثَاءُ بالمد والضم ما يجيء فوق السيل مما يحمله من الزَبَد والوسخ وغيره.

وقال أبو زيد (سعيد بن أوس بن ثابت الخزرجي الأنصاري البصري اللغوي من أئمة الأدب واللغة: ١٢٢-٢١٥هـ = ٧٤٠-٨٣٠م) غَثَا الماءُ يَغْثُو غَثْوًا أو غَثَاءً: إذا كثر فيه البَعَرُ والورق والقصب.

وقرآنيّةٌ، لأنها وَرَدَتْ في القرآن الكريم، فقال تعالى حكايةً عن الذين كَذَّبُوا نبيَّهم، فجعلهم الله صَرْعَىٰ هالكين:

«إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ» (المؤمنون:٣٧-٤١).

قال ابن كثير الدمشقي (عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن درع القرشي الحصلي البُصروي الدمشقي الشافعي المحدث المفسر الفقيه: ٧٠١-٧٧٤هـ = ١٣٠١-١٣٧٣م) في تفسير هذا الجزء من الآية ٤١ من سورة «المؤمنون»:

(البقية على ص ٥٤)

أبو أسامة نور
nooralamamini@gmail.com